كاتاليبسي

«ليس كل ما تراه حقيقة..»

أحمد عمر فرج

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع
رقم الإيداع: 23080/ 2018
I.S.B.N: 978-977-6642-40-9
تصميم الغلاف: محمد دربالة.
المراجعة اللغوية: أميرة أسامة.
الإخراج الفني: ضياء فريد.
المديـــر العـام: إيناس ناصر.
المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com
٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

كاتاليبسي

«ليس كل ما تراه حقيقة..»

رواية

أحمد عمر فرج

إهداء إلى زوجتي الحبيبة
أدامك الله لي سندًا وبهجة ..

إهداء إلى ابنتي «لي لي»
كل رواية بكتبها علشان تكوني فخورة بأبوكي
ومن بعدك إخواتك ..

شكر خاص إلى الإعلامية راندا طنطاوي.
وإهداء لكل فرد بيقرأ لي
ومؤمن بيا من أسوان لطروح.
النجاح بيكمل بيكم

إهداء إلى رُوح جدّي الحاج فرج؛
الرّجل الطّيب الذي علمني الإصرار
والتّغلب على النفس..

إهداء إلى
شهداء النادي الأهلي «٧٤» في القلب دائمًا.

أحمد عمر فرج

متتعلقش بحد وتعلق نفسك بيه..
لأن مفيش أي حد وجوده مضمون غير وجود ربنا!

اللي بيفهم مش بيستريح.. اللي بيفهم بيتعب!

السكوت علامة رضا.. وممكن يبقى علامة ندم..
بس أوقات كتير بيبقى علامة احتياج!

جبر الخواطر على ربنا.. البني آدمين بيكسروها!

إلى الراحلين دون معاد.. غيابكم ما فَرقش على فكرة..

داخل عنبر المساجين في مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية.

في ليلةٍ من الليالي الشتوية أجلس على كرسي متحرك أمام نافذة غرفتي الزجاجية داخل تلك المصحة، في الخارج كانت تتمايل أوراق الأشجار على إيقاع الرياح وأغصانها ممتدة فوق السيارات والمارة، أسفل نافذتي فناء عبارة عن أرض مستطيلة مفروشة بالحصى والرمال، على جانبيهِ كراسي مرصوصة في صفين متقابلين، في أحد جوانب ذلك الفناء توجد شجرة خالية من الأوراق، لم تكن كذلك ولكن أصبحت على

ما هي عليه الآن كحال كل من بداخل تلك المصحة، أجسام متحركة ولكن بروحٍ خاوية.

كنت في انتظار موعد إحدى الجرعات التي آخذها طيلة خمسة عشر عامًا دون هوادةٍ حتى أصبح جسدي كشباك أحد صيادي الأسماك وكأنني أصبحت فأرَ تجارب في تلك الفترة، أصبحت عاجزة لا أستطيع التحرك، فاقدة لإحساس جميع أطراف جسدي من يدين وقدمين حتى لساني؛ لم أعد أملك القدرة على التحدث، فقط أرى وأسمع، هذا كل ما تبقى، لم أعلم هل الذي حدث لي هو نعمة؟! أم نقمة؟! هل أستحق ما حدث لي؟! لا أعلم! من الوارد أن يكون كل ما أنا فيه من ابتلاءٍ هو تكفير عن العديد من الذنوب التي قمت بها، أو جزاءً لما اقترفته في حق زوجي؛ من ظلم وقهر، ومن الوارد أيضًا أن يكون كل ما أمُر به هو نعمة مِن عند الله سبحانه وتعالى، فأنا على مدار تلك السنوات الكثيرة لم يعد باستطاعتي فعل أي شيءٍ؛ فلم يعد باستطاعتي أن تقودني قدميّ إلى طريقٍ موحش نحو ارتكاب أحد تلك المعاصي التي كنت أرتكبها، ولم تعد باستطاعت يدي أن تلمس شيئًا من تلك

الأشياء القذرة التي كنت ألمسها فيما سبق، ولم يعد لساني قادرًا على التفوه بشفى حرفٍ يُغضب الله سواءً كان كذبًا أو نميمةً أو نفاقًا وإلى آخره من تلك الأفعال الشنيعة.

وفي وسط العديد من المحاولات المضنية من جانب الأطباء لمدةٍ لا تقل عن خمسة عشر عامًا لإنعاش أحد أطرافي نجحت إحدى محاولاتهم أخيرًا،الجميع من حولي فرح لتحرك أحد أطراف أصابع يدي، «**دي معجزة يا دكتور**»، «**أخيرًا**»، «**مش معقول**»، «**ساندرا، يا ساندرا**»، كل هؤلاء من حولي كانوا فرحين ببشرى لي من الممكن أن تكون خُطوة نحو استرجاع عافيتي من جديد، وفي خلال تلك السنوات التي مررت بها رأيت العديد من الأشياء التي تقود أي شخصٍ مهما كان عاقلًا إلى الجنون، بعض من المرضى كانوا يأتون إلى هنا طواعيةً واختيارًا، كانوا يُفضلون أن يكونوا منغلقين على أنفسهم، كانوا يختارون العيش دون التحدث مع أحد.. دون رؤية أحد، حتى إذا كان يأتيهم أحد أفراد أسرتهم أو حتى أصدقائهم؛ إما يرفضون مقابلتهم أو يجلسون معهم وهم متضطرين دون التفوه بشفى كلمة حتى امتنع الجميع عن

زيارتهم، هؤلاء المرضى كانوا يحبذون دائمًا الوحدة التي بدورها تقودهم إلى الجنون الذي يعطيهم النتيجة التي يريدونها وهي انعدام فكرَة الحنين إلى ماضيهم، الماضي الذي يسعى معظمنا إلى الهروب منه، هم وجدوا طريقهم للهروب، هكذا كانوا في نعيم!

المصحة النفسية أُعدت خصيصًا إلى هؤلاء أمثالي الذين يشعرون بالوحدة بداخلهم على الرغم من وجود العديد والعديد من أصدقاءٍ وعائلةٍ من حولهم، وأُعدت أيضًا للذين يشعرون بأنهم مساجين داخل أنفسهم، هناك جملة وجدوها مكتوبة داخل إحدى المصحات النفسية المهجورة تقول «**كنا بخير.. لولا الآخرون**» تلك الجملة من الممكن أن تنطبق على معظم من بداخل تلك المصحة إلا أنا!؛ فأنا كنت بخيرًا لولا شهواتي الدنياوية التي قادتني إلى هنا.

وبعد عدة أسابيع بدأت أستعيد عافيتي من جديد بعد أن كُنت فاقدةً للأمل؛ فأصبحت أطرافي تتحرك، بالطبع ليس كما في السابق، بدأت أستشعر النطق وكأنني طفلة من جديد بدأت للتو تتعلم الكلام، خلال تلك السنوات كانت أمي دائمًا إلى جواري، فهي لم تكل ولا تمل من

زيارتي، وكانت تداوم على زياراتي طيلة الخمسة عشر عامًا دون هوادة، كما أن الجميع فقدوا الأمل في حالتي إلا هي، هي التي بقيت معي عندما ذهب الآخرون، أتعلمون أنه سوف يأتي عليكم الوقت الذي يكون كل شيءٍ بلا قيمة كالمال والجمال والصحة ولن يبقى غير الوفاء؟! لذلك أحسنوا الاختيار، طيلة تلك السنوات كانت أمي تحاول جاهدة أن ترمم ذلك الخراب الذي بداخلي، كانت تسعى لمداواة جرحي، كانت تسعى لإعادتي للحياة من جديد دون مقابل!

كانت أمي ممسكة بذلك الكرسي الذي كان يصدر منه صراخًا كلما قام أحدٌ بتحريكه، ذلك الصراخ الذي أصبحتُ جزءًا منه؛ متجهين نحو غرفة الدكتور المعالج لي، نمشي في ممرٍ طويل عن يميني وعن يساري غرف مرقمة برقاقات معدنية صدئة، مشينا كثيرًا وسط تلك الضوضاء التي يُحدثها ذلك الكرسي حتى وصلنا إلى غرفة الدكتور التي كانت تقبع في نهاية الممر، مررنا عبر الباب الذي بدوره أُغلق ورائنا تلقائيًا عند تخطينا له.

يجلس الدكتور أمامنا على مكتبٍ معدنيّ ذي حوافٍ صدئة، العديد من الأقلام على ذلك المكتب لا أعلم فيما يستخدم كل هذة الأقلام في الحقيقة! كان المكتب ممتلئًا بالعديد من الملفات الورقية ذات اللونين الأخضر الفاتح والأحمر الفاتح، كانت تلك الملفات في منتصف المكتب بالكاد أرى وجهه الذي اختفى خلف تلك الملفات، أشار إلى أمي بالجلوس، ثم قام بإبعاد تلك الملفات بيده حتى رأيته، شاب ثلاثيني أبيض اللون، ممتلىء الوجه بعض الشيء، ذو عينان زرقاوان اختفى جمالهما بعض الشيء خلف تلك النظارة التي كان يرتديها، كانت تنزلق منه تلك النظارة قاطعة طريقها نحو منتصف منخاره حتى قام بحركةٍ عفوية؛ حيث ضغط بسبابته على منتصف النظارة لإرجاعها مرة أخرى إلى موضعها الأصلي، وكان دائم التكرار لتلك الحركة أثناء لقائنا، نظر إلي مبتسمًا ثم قال:

- حمدالله على السلامة يا ساندرا.
- اللللللله يسسلمك.. كنت أجد صعوبة في قولها.
- براحتك خالص ما تنزعجيش من اللي انتي فيه دا لأنه شيء طبيعي وما تقلقيش أنا كده كده

هفضل معاكي لغاية ما ترجعي أحسن من الأول كمان، المدير طلب مني إني أتابع حالتك بنفسي، شايفة الملفات دي كلها؟!

نظر إلى تلك الملفات وهو يقول لي:

- دي الدراسة اللي أنا عملتها لحالتك خلال سنة كاملة.

ثم ردت عليه أمي:

- ياه يا دكتور كل دا!!
- أيوة طبعًا يا افندم، حالة «**ساندرا**» ماكنتش سهلة، بس الحمد لله ربنا يكتب على إيديا الشفا، أنا هعمل مع «**ساندرا**» كل يوم جلسة علاج وإن شاء الله خير.
- شكرًا جدًا يا دكتور «**ساندرا**» دي الحاجة الحلوة الوحيدة اللي طلعت بيها من الدنيا.
- ربنا يخليهالك، أنا ما بعملش غير شغلي، اتفضلي دلوقتي علشان تروح ترتاح شوية وهبدأ معاها الجلسات من النهاردة بالليل، أنا بس

كنت حابب أشوفها واسمع صوتها علشان أقدر أقرر إذا كانت هتقدر تبدأ جلسات ولا لا.

- متشكرين يا دكتور، نستأذن احنا بقى.
- اتفضلوا.

أنهينا حديثنا مع الدكتور الذي لم يخبرنا حتى باسمه وكأنه كان يريد حقًا أن يرى ما إذا كنت قادرة على بدء تلك الجلسات أم لا؟

ما تتعلقش بحد وتعلق نفسك بيه..
لأن مفيش أي وجود مضمون غير
وجود ربنا.

داخل المصحة ليلًا داخل مكتب الدكتور بالتحديد

أجلس على ذلك الكرسي وأمامي مباشرة يجلس الدكتور على مكتبه ممسكًا حزمة من الأقلام في يده اليمنى يقوم بتحريكها في حركةٍ دائرية مستمرة؛ توقف عن تكرارها حين استشعر انزعاجي من تلك الحركة، ثم بدأ حديثه معي قائلًا:

- معلش متأسف لو كانت الحركة دي أزعجتك، بس أنا اتعودت عليها من زمان، من وانا في ابتدائي تقريبًا، أنا عارف إن اللي مريتي بيه مش قليل يا ساندرا، لكن أنا هنا علشان أساعدك، ممكن تعتبريني صديق أو أخ بعيدًا عن كوني دكتور، أنا يهمِّني إنك تتكلمي وتقولي كل حاجة ممكن تقدري تعبري بيها عن اللي جواكي.

طوال محادثته وأنا أنظر على الأرض ولم تُرفع عيناي إليه أبدًا، أعلم أن كل هذه السنوات من الجمود كفيلة بأن تجعلني انطوائية ولا أجيد التعامل مع البشر.

ثم أكمل حديثه:

- أنا قريت ملفك كويس، إنتي دخلتي هنا نتيجة صدمة عصبية حادة أثرت عليكي، وتقرير الطبيب الشرعي أثبت ده، لكن في حاجة مش قادر عقلي يستوعبها!

نظرتُ له، ثم أتبع:

- إيه الصدمة اللي ممكن تخليكي في الحالة اللي كنتي فيها؟؟

قالها ثم نهض من على كرسيه ذي الفرش المتهالك قاطعًا طريقه نحوي ثم أتبع:

- بصراحة في بداية متابعتي لحالتك قولت إنك ممكن تكوني بتمثلي على الكل عدم الكلام وانك قررتي تنعزلي عن الكل بعد اتهامهم ليكي بقتل جوزك، لكن عقلي برضو رفض الفكرة دي، أصلك ممكن تمثلي شهر اتنين أو سنة مثلًا،لكن إنك تقعدي ١٥ سنة!؟! دي الحاجة الغريبة فعلًا واللي دفعتني إني أتابع حالتك من جديد بعد ما تم قفلها واتحدد التشخيص والعلاج، أنا أصلًا بحب التحديات الجديدة

وكل تحدي أدخله لازم أكسبه، بس عمري ما هكسب التحدي دا من غير مساعدتك.

- هههه أنا قاادرة أساعد نفسي يا دكتتتتتور؟!

قلتها بمرارةٍ وحسرة ثم أتبعت:

- ممن غير علاج وووولا علاقة مممممريض بدكتتتتتور، أنا مصدقت إني أتتتكلم أصلًا، ممكن يكون عمممممري قرب وأنا عندي إحساس بكده..

- بلاش تقولي كده إنتي لسه قدامك العمر، بلاش نظرة الإحباط اللي شايفها في عنيكي دي، من أهم طرق العلاج إن المريض يبقى عنده أمل في العلاج ومتمسك بالحياة.

- إنتوا مممش بتقولوا في جلساتكم اتكلم علشان ترتاح؟ أههههو انا بقى نفسي أتتتكلم علشان أرتاح.

بدا مضطربًا بعض الشيء ثم قال لي:

- طبعًا، جزء من علاجي هيكون كده والجزء الثاني هيكون أدوية، يلا بقى نبدأ علشان احنا اتكلمنا كتير.

نظر إليَّ متبسمًا ثم قام بالضغط على جرسٍ كان مثبتًا بمفتاحٍ كهربائيّ على مكتبه، ما أن انتهى صوت رنين الجرس حتى قدمت إلينا ممرضتان قامتا بإنزالي من على الكرسي وقاموا بوضعي على أريكةٍ مائلة كانت داخل المكتب، ثم بدأت الجلسة...

- شكرًا يا سلوى، شكرًا يا فاتن، اتفضلوا انتوا ولو احتاجت حاجة هرنلكم الجرس.

أشار لهما بالانصراف ثم نظر إلي وقال:

- بصي بقا يا ساندرا، دا ريكوردر هسجل كل كلمة هتقوليها خلال الجلسات بتاعتك، اتكلمي براحتك وكأني مش موجود، اتكلمي علشان ترتاحي.

نظرت إليه ثم أومأتُ له برأسي وبدأ بالضغط على جهاز التسجيل...

كنت فتاة مثل أية فتاة ترغب في أن تعيش قصة حب، كنت أتمنى من الله أن يرزقني بشخصٍ أحبه ويحبني، شخص يشعرني بأنني لست فترة بحياته، يتقبلني كما أنا، يتقبل في السيء قبل الجميل؛ فرزقني الله بهذا الشاب الذي كنت أحلم بالعيش معه في حياةٍ مستقرة، أصبح بالنسبةِ لي فتى أحلام، ولكن لم يُكتب لتلك الأحلام أن تكتمل نظرًا لأنه كان شابًا صغيرًا بالكاد يستطيع أن يتدبر مصاريف حياته الشخصية، كان معي في كلية التجارة، بالطبع هذة ليست الكلية التي كان يتمناها..كان نفسي أكون في كلية من كليات القمة يا ساندرا، بس آدي الله وآدي حكمته.

- ياااااااه، كليات القمة مرة واحدة هههههههه، ودي كنت هتخشها ازاي بالـ ٨٠٪ بتاعتك؟
- هههههههههه، لا إنتي واخدة فكرة غلط عن كليات القمة.
- يا سلام؟! وإيه هي الفكرة الصح بقى؟
- الحال في بلدنا مقلوب شوية، تلاقي عندنا مثلا كليات القمة بتقبل ما بين ٥٠٪ و٧٠٪، آه والله ما تستغربيش أوي كده، يعني هتلاقي كليات

القمة عندنا فعليًّا هي كلية الشرطة، والكلية الحربية، وممكن ناخد معاهم كل الكليات اللي تتعلق بالفن والرقص، أصل بالعقل كده ليه أجيب ٩٠٪ ويطلع عيني وعين أهلي وفي الآخر ييجي اللي جايب ٥٠٪ و ٦٠٪ هو اللي يمسك مناصب ويبقى له قيمة في المجتمع؟

تذكرت تلك الكلمات حينما تقدم لخطبتي مرة في الثانية في الثالثة ولكن لم تُكلل مجهوداته بالنجاح نظرًا لرفض أبي، لا أعلم هل هذا الجيل فقط هو المظلوم أم أنه قد مر على معظم الأجيال ما يحدث لنا الآن؛ فآباؤنا لا يعطوننا حقَ تقرير المصير في أي شيء، يقوموا بإنجابنا فقط لتحقيق أحلامهم التي لم يستطيعوا هم تحقيقها؛ فيختارون لنا الاسم، ويختارون لنا المدرسة التي ندرس بها، ثم يختارون لنا الكلية التي يريدون منَّا أن ندخلها، وبعد ذلك يختارون لنا شريك حياتنا الذي سوف يعيش معنا بقية عمرنا نحن وليس هم، سحقًا لذلك الواقع المرير الذي جعل آخر كلماتي لمن أحببته: «**كل شيء قسمة ونصيب**»، تلك الجملة التي أضاعت أحلام جيل كامل

نظرًا للظروف المادية الضيقة التي كانت ولا زالت تمر بها البلاد، إن الجهل والفقر هما السائدان الآن، هذان الشيئان يجعلان من العيش المشترك أمرًا مستحيلًا، فما كان لي إلا أن أنظر إلى مستقبلي ونفسي فقط، أصبحت أنانية بعض الشيء، وكان عندي يقينٌ أنني سوف أتزوج زواجًا تقليديًا إرضاءً لأهلي فقط، أنا مؤمنة جدًا بمقولة الشيخ الشعرواي عندما قال: «**ليرتاح عقلك وقلبك تأكد أنه لا يوجد خير في شيءٍ أخذه الله منك**»، بعد فترةٍ قليلة لم يمر على تخرجي من الجامعة إلا بضعة شهورٍ قليلة حتى وجدت إحدى الإعلانات الخاصة بشركة أدوية تطلب فيه سكرتيرة حديثة التخرج، رغم أنها ليست في مجال دراستي، ولكن من منا قام بالعمل وفقًا لدراسته إلا قليلًا، بعد أول مقابلة شخصية تم قبولي نظرًا لما أتمتع بهِ من مقوماتٍ لغوية وأنثوية، كنت دائمة الحضور لمؤتمراتٍ خارج مصر مع رئيس الشركة حتى جاء موعدٌ لمؤتمرٍ عن الأدوية في لبنان، وهناك تعرفت على «**مراد**» صاحب شركات «**ميدي فارما للأدوية**»، بدأ التعرف يتحول إلى صداقة ومن ثَمَّ إلى إعجابٍ حتى انتهى بالزواج دون أيةِ معارضة من أهلي رغم أنه يكبرني بعشرين عامًا، لا أعلم هل نحن الشباب على

حق أم الأهل؟، هم دائمًا يريدون لنا الأفضل ولكن كل زمنٍ وله متغيراته، على كل حال تزوجت بـ»مراد» الذي لم يبخل عليَّ بأي شيء؛ حيث قام بتعييني مديرة لأحد أفرع الشركة وأصبح لي كيانًا خاصًا ولم يبخل علي بأي شيءٍ من ملابسٍ وسفر وسيارات وذهب وما إلى ذلك من متطلباتٍ للمرأة خلال أول سنتين، ولكن مع مرور الزمن وعندما يغضب كان دائم التسلط لم ينسَ أنني من الطبقةِ الكادحة، كان دائمًا يشير بمدى فضله عليّ وما وصلتُ له من مكانةٍ في المجتمع، كان دائمًا يُذكرني بذلك، كان يعاملني كدميةٍ ليس كأنسانة، كان روحًا منفردة واستبدادية لا تطيع سوى هواها، كان يريدني دائمًا تحت قدميه، كان يحبني بجنون، كان يحبني حب امتلاك، مرت السنوات تباعًا وفي أحد الأيام وأنا عائدة من العمل دخلت إلى الفيلا ثم ذهبت إلى غرفة مراد لكي أقوم بإيقاظه لإخبارة بأن هناك إحدى براءات الاختراع قد توصلنا إلى اتفاقٍ بشأنها، وإذا بـــ «**مراد**» أقلب فيه يمينًا ويسارًا وهو لا يُحرك ساكنًا، قمت بوضع يدي على رقبته ويده لكي أستشعر نبضه ولكن دون جدوى، قمت بالاتصال بالإسعاف الذين قدموا بعد بضع دقائق نظرًا لقرب المستشفى من الفيلا الخاصة بنا،

تم نقل «**مراد**» بعد ذلك إلى المستشفى، وتم إخباري بعد فترةٍ قصيرة بخبر وفاته بالسكتةِ القلبية، في نفس اليوم ليلًا كنت أجلس داخل مكتبهِ على كرسيّ فخم محاطة بأرفف مليئة بالعديد من الكتب والمخطوطات والأبحاث ورسائل الدكتوراة التي أشرف على معظمها، شعرت بكثيرٍ من الضيق والحزن لذا قمت وتوجهت نحو سيارتي ذاهبة أتجول في الطرقات حتى رن جرس تليفوني:

- ألو.
- مدام ساندرا معايا؟
- أيوة مين؟
- معاكي العقيد إسلام الجزار من المباحث.
- أهلًا بحضرتك، أنا كنت أدليت بأقوالي النهارده ومش شايفه إن دا وقت استجواب تاني، الساعة دلوقتي عدت ١٢ بالليل!
- أنا آسف لو بكلمك في وقت متأخر، لكن احنا جينا لحضرتك الفيلا بس ما كنتيش موجودة؛ فاضطريت أكلمك، وبعدين أنا مش بكلمك

علشان أستجوبك، أنا بكلمك بخصوص جثة جوزك الله يرحمه.

- جثة جوزي؟! مالها؟
- الجثة اختفت من المشرحة.
- اختفت؟! اختفت ازاي يعني؟!
- لغاية دلوقتي احنا مش عارفين، أستأذنك تجيلنا دلوقتي على مشرحة المستشفى.
- حاضر مسافة السكة..

وبعد فترة قصيرة من الوقت وصلت إلى مشرحة المستشفى التي كانت عبارة عن مبنى منفصل عن المستشفى حيث رائحة الموت تسري في كلِ مكان، وهنا تكمن المحطة قبل الأخيرة للموت.. المحطة التي تنهيها جهات التحقيق باستخراج تصريح الدفن، عجبًا للموت فالموت يجعل الجميع متشابهين، هنا لا يوجد فرقٌ بين شهيدٍ أو بطل أو لص أو غني أو فقير أو أبيض أو أسود، فالكل سواسية هنا.. هنا يخضع الموتى لعملية التشريح من قِبل الطب الشرعي في حالةِ وجود شبهة جنائية، تلك الجملة التي هي عبارة عن كلمتين «**طب**» أي كل ما هو

علمي وكلمة «**شرعي**» أي كل ما هو قانوني؛ حيث يهتم بفحص العلاقة القريبة أو البعيدة التي يمكن أن توجد ما بين الوقائع الطبية والنصوص القانونية، بمجرد أن خطوت أول خطوةٍ لي في تلك المشرحة وإذا بقشعريرة انتابتني، شعرتُ أن روحي قد سُحبت، رائحة الموت تُسيطر على أركان ذلك المكان الذي كان له بابين، أولهما يطل على شارع رئيسي يعبر منه موظفوا الطب الشرعي والعاملون إلى داخل المشرحة، وثانيهما مخصص لدخول وخروج الجثث مِن وإلى المشرحة، وهذا الباب مفتوح على شارع جانبي ضيق، وبمجرد المرور عبره تجد نفسك إزاء أبواب ذات لونٍ كان أبيضًا على ما يبدو، لكن بفعل الزمن أصبح متعدد الألوان؛ من سوادٍ ودماءٍ وبصمات أصابع حمراء وسوداء.

كانت المشرحة تعج بالعساكر وبمجرد استقبالي من قبل ذلك الشرطي بدأنا ندخل إلى قلب المشرحة ذاتها، حيث خطونا إلى ممر وعلى يمين ذلك الممر وجدت حجرتين مفتوحتين بداخل بعضهما البعض، يجتمع فيهما الأحياء بجوار الأموات.. ففي الحجرة الأولى تترصص ٨

ثلاجات، تحوي الواحدة منها ٦ أدراج بواقع ٤٨ جثة، في منتصف تلك الأدراج كان يوجد درجًا مفتوحًا، على ما أظن أنه درج زوجي «**مراد**»، بالإضافة لغرفتيْ تجميد تم تخصيصهما لـ «**المجاهيل**» غير المستدل على هوياتهم، أو الذين لم يأتِ من يتسلمهم من أهلهم للدفن، فيتم وضعهم بإحدى هاتين الغرفتين تجنبًا للتعفن، ونظرًا لأنهم سيمكثون وقتًا طويلًا داخل المشرحة، بعد أن تخطينا تلك الغرفة الواسعة وجدنا بعد ذلك في ذات الممر غرفة ثانية والتي كان يوجد بداخلها دولاب به أكفان، في مقابله سرير توجد عليه أكفان، وفي المنتصف بينهما توجد منضدة عليها سخان، وأوراق، وشمع أحمر، يتم استخدامه لتشميع أي حرزٍ يتم التحفظ عليه، أو التحفظ على العينات التى تُؤخذ من الجثث بعد تشريحها، بجوارها أدوات إعداد الشاي التي يستخدمها العاملون هناك ليعدوا بعض الشاي أثناء عملهم...

أكملنا طريقنا خلال ذلك الممر الذي كان في نهايته على يساري غرفة ذات بابٍ زجاجي دلفت إليها بصحبة ذلك الشرطي، كان يقبع بداخلها شرطيًا آخر كان في

انتظارنا؛ صغير السن بعض الشيء وهو النقيب «**أحمد محي**»، أسمر اللون ذو شاربٍ طويل بعض الشيء مرتديًا نظارة، بعد بروتوكولات التحية المعتادة في الأجهزة الشرطية جلس الشرطي «**إسلام الجزار**» أمام مكتبٍ كان في ركنٍ من أركان تلك الغرفة، على ذلك المكتب من يمينه مطفأة سجائر تعتليها طاقة من الضوء المنبعث من تلك -الأباجورة- المسلطة على سطح ذلك المكتب، بدوري جلست أمام ذلك الشرطي الذي كان في منتصف الأربعينات، قوي البنيان، عريض المنكبين، طويل بعض الشيء، أصلع، خده الأيمن مُيز بذلك «**الخال**» الأسود، عيناه بنيتان، لديه إصبع في يده اليسرى غير مكتمل، من الممكن أن يكون جراء حادث لطبيعة عمله، ولكن ما يميز ذلك الشرطي غريب الأطوار وجود خاتم ذا فصٍ أحمر يلبسه في ذلك الإصبع المقطوع!

وبدأ حديثه معي:

- أولًا متأسفين إننا جبناكي في وقت متأخر زي دا، بس كان لازم نسألك كام سؤال علشان كده في شبهة جنائية في الموضوع.

- لا عادي مفيش مشكلة، بس أنا عاوزة أعرف إيه اللي حصل بالظبط؟!
- أثناء وجود حارس الأمن المسئول عن المشرحة في غرفة الكنترول؛ الكهربا قُطعت مرة واحدة، والـ ١٨ كاميرا الخاصة بمراقبة المبنى كلها اتعطلت وبعد ثواني رجعت تاني وكل الشاشات الخاصة بكل كاميرا من الـ ١٨ وقفت عند لقطة واحدة بس تخص الثلاجة وهو الدرج الخاص بجثة جوزك أستاذ «**مراد**»! الحارس ساب غرفة الكنترول بتاعته لمدة ١٠ دقايق تقريبًا كانت كفيلة إنها تخليه يجري زي المجانين كأنه شاف عفريت قدامه، الحارس طلع يجري زي المجنون في الشارع لحد ما اتعرف عليه حد من أمن المستشفى مسكه في حالة أشبه بالصرع، مسكوه وحطوه في المستشفى وأخد مسكنات علشان تهديه، وهو دلوقتي نايم على سريره ومستنيينه لحد ما يصحى علشان ناخد أقواله علشان نعرف هو كان بيجري من إيه؟!

ولية؟! بس المؤكد إنه حاجه من اثنين يا إما إن الجثة رجعت من الموت! ودي فرضية جدلية أنا كظابط مصدقهاش، يا إما إن الجثة اتسرقت ودا اللي أنا برجحه، في بعض الحاجات مش مفهومة حصلت في المبنى وهنحاول نلاقيلها إجابات، وممكن أقوالك تساعدنا في إيجاد الإجابات اللي احنا عاوزينها

- أنا مش قادرة أفهم يعني إيه الجثة اختفت؟! المفروض يكون في أمن كفاية على مكان زي دا مش فرد أمن واحد؟! على الأقل مراعاة لحرمة الميت.

رد عليّ الشرطي «**أحمد محي**» قائلًا:

- المكان مؤمن كويس جدًا يا أستاذة ساندرا، في حاجة نسينا نقولك عليها إن المكان مؤمن بفردين أمن؛ واحد اللي كان في الكنترول بتاع المبنى ودا اللي جري بره المبنى زي ما وضحلك سيادة العقيد، والتاني حارس بيلف في المكان في أوقات متفاوتة والحارس دا أثناء اختفاء جثة

جوزك كان برا المبنى خالص؛ لأنه كان بيجيب دفتر الأحوال الخاص بالمشرحة من المستشفى والكلام دا بيحصل يوميًا في تمام الساعة ١١/٣٠ بالليل.

نظر إلي «**إسلام الجزار**» وهو ممسكًا بذلك الخاتم القابع في نهاية ذلك الإصبع المقطوع وقال لي:

- من الممكن إنها تكون اتسرقت علشان تجارة الأعضاء ودا منتشر اليومين دول، لكن تجارة أعضاء إيه لشخص عمره تعدى الخمسين، من باب أولى إنهم يسرقوا الأطفال أو الشباب مثلًا، غير كده إن تجار الأعضاء لما بيسرقوا بيسرقوا عدد من الجثث مش جثة واحدة وكمان لواحد في الخمسينات، عشان كده اللي سرق جثة جوزك قاصد يسرق الجثة دي بالذات، اللي سرقها مش عاوزها مرتاحه حتى في موتها.
- يا قلبي يا مراد.
- هل كان في له أعداء؟
- لا، مراد كان دايمًا كويس مع الكل ومحبوب.

- شوفي راجعي نفسك كده، إنتوا شركتكم كان ليها منافسين كتير من داخل وخارج مصر.
- لا طبعًا.
- طيب وبالنسبة ليكي يا مدام ساندرا.
- أنا؟! مالي مش فاهمة؟
- يعني أقصد إنه من الممكن لو في بينك وبين حد عداوة وعاوز يصفيها معاكي عن طريق جوزك مثلًا!
- لا طبعًا، وحتى لو كان ليا مش من المنطقي إنهم يسرقوا جثة جوزي يعني! ما يقتلوني أنا أولى.
- على العموم ممكن نعرف حاجة جديدة لما يجيلنا الدكتور «**حاتم**» مسؤول الطب الشرعي، وهو على وصول، مدام ساندرا ممكن أعرف إنتي كنتي طالعة من بيتك الساعة ١٢ بعد نص الليل ورايحة فين؟
- دا اتهام مثلًا؟!
- لا طبعًا، ولا استجواب، ممكن تسميه سؤال على سبيل الدردشة لغاية ما الدكتور يجي.

- سندي في الدنيا مات حسيت بضيقة وملقتش حاجة أعملها غير إني ركبت العربية وما كنتش عارفة رايحة فين، إيه؟ غريبة مثلًا؟!
- لا مش غريبه ولا حاجه.

آثناء حديثنا دخل علينا شاب في أوائل الثلاثينات نحيف البنية ذا شعر مجعد، وجهه يتصبب عرقًا دليلًا على هرولته أثناء قدومه إلينا، يصدر منه صوتٌ أنينيٌ هزيلٌ متموجٌ، يرتدي قميصًا مخططًا «**كاروهات**» واسع بعض الشيء وبنطالًا مصنوعًا من القماش ويمسك بيده حقيبة يد صغيرة خاصة بالمستندات الورقية..

- السلام عليكم، معلش إذا كنت اتأخرت عليكم.
- وعليكم السلام يا دكتور حاتم، حمدالله على السلامة.
- الله يسلمك يا إسلام بيه.
- بعد إذنك يا مدام.
- اتفضل.

قام الشرطي «**إسلام الجزار**» بالاستئذان للخروج إلى خارج الغرفة وذلك للتحدث مع الدكتور حاتم، على الجانب الآخر انتهزت تلك الفرصة لكي أجري اتصالًا هاتفيًا كان من الضروري أن أجريه..

ـ ألو أيوه يا آدم.

ـ ألو أيوه يا ساندرا.

آدم، شاب على مشارف إتمام العشرين من عمره، متوسط الطول، قوي البنية، وجهه بيضاوي أبيض يشع منه النور، ذو لحية خفيفة بنية اللون زينت وجهه الوسيم، يدرس في كلية التكنولوجيا الحيوية قسم «**ريد بايوتكنولوجي**» وهو القسم الذي يرتبط بالمجال الطبي، والذي يشمل مثلًا إنتاج المضادات الحيوية من الكائنات الحية، والارتباط ببعض مجالات الهندسة الوراثية لمعالجة الأمراض، وإمكانية إنتاج أدوية خاصة بالمحتوى الجيني لفردٍ ما، وعلاج الأمراض المستعصية مثل السرطان وغيرها، كان «**آدم**» متميزًا جدًا، حتى أن تقديره العام خلال الدراسة هو جيد جدًا، كنت قد تعرفت عليه عندما أدرجنا إعلانَ توظيفٍ في إحدى الجرائد المصرية ومواقع الإنترنت

نطلب فيها توظيف عدد من الخريجين الجدد في مجال التكنولوجيا الحيوية، جاء إلى مقر الشركة لإجراء المقابلة الشخصية مثله مثل الجميع، ولكن لم يكن هناك ما يميز الجميع مثله، لا أعلم هل حدث لي ما يسمى نقصًا عاطفيًا من جانب «**مراد**»؟ لا أعتقد ذلك لأنني ببساطة أحببت «**آدم**» الذي رأيت فيه عشيقي الأول عندما كنت في مرحلةِ الجامعة، لقد فقدت الحب من قبل عندما كنت في ريعان شبابي، وتذوقت مرارة الاحتياج، ووحشة الخذلان، كنت غارقة في انتظار ما لا يأتي، حتى أتى «**آدم**»، كنت أتعامل معه على أساس أنني مجرد فترة في حياته، لذلك كنت أفعل كل ما أستطيع فعله لكي تستمر تلك الفترة، كنت أعلم أنني متناقضة بعض الشيء لأنني أحببت قبل الجامعة، لكن ليس كل حبٍ أول هو حب حقيقي، الحب الحقيقي هو الذي يدوم وليس الحب الأول، عندما تركني حبي الأول أمام أول بابٍ أُغلق في وجههِ من أهلي؛ كنت أشعر بالحزن والوحدة والاحتياج، كُنت أجلس داخل غرفتي الهادئة ولكن بداخلي ضجيج من الذكريات التي تتأرجح على صدري بين تنهيدة والأخرى، كنت أنتظر

عودته ولكنه غاب عني ولم يطرق باب قلبي مرة أخرى، والغياب عند الاحتياج يقتل كل شيء..

على أي حال تم اختيار «**آدم**» للوظيفة رغم أن معظم الشروط لا تنطبق عليه ورغم أنه لم يكن الأكفأ في من تقدموا، ولكنه كان الأكفأ بالنسبةِ لي، تم تعيينه بعدها بعدة أيام، لم يلفت انتباهي لـ «**آدم**» فقط وسامته بل لفت انتباهي له عدم انتباهه لي، التجاهل، في كل مرةٍ نظرت فيها له بإعجابٍ كان يتعمد تجاهلي، حتى وقع، وبدأت العلاقة بيني وبينه تأخذ منحنىً آخر؛ حيث أصبحت العلاقة أشبه بالإعجاب الذي تطور بعد ذلك إلى حب، حتى أصبحت لا أشك للحظةٍ أن «**آدم**» كانت له أطماعًا لما أنا فيه من ثروةٍ وسلطة، كان الفتى المدلل لقلبي، كنت متمسكة به لدرجةٍ لا يتخيلها أحد، أحببته لأنه الوحيد الذي كنت أذهب إليه مثقلة بأوجاعي وأعود وكأنها لم ترَ قلبي من قبل، هذا ما كنت أشعر به مع «**آدم**»، ثم أصبحنا بعد ذلك لا نستطيع الافتراق عن بعضنا البعض، حتى

أصبحت الحياة بدونه شبه مستحيلة، أصبح العيش بدونه بالنسبةِ لي كأنني سمكة على اليابسة، كنت أعلم أنه على علاقةٍ بفتاةٍ أخرى، التي بدورها أصبحت ليس لها وجودٌ عندما أصريت على أن يتركها إذا كان يريد الاستمرار بجانبي، وعلى الجانب الآخر طلب مني أن تكون العلاقة بيننا دائمة ولكن بصفةٍ مشروعة، كيف لهذا أن يحدث بدون الطلاق من «**مراد**»؟

- لازم تطلقي يا ساندرا، أنا مش متخيل إنك تكوني في حضن حد تاني غيري.
- طلاق؟! أنا لو اتطلقت مش هاطول ولا حاجة، ومراد هيرجعني تاني لنقطة الصفر وكل اللي عملته في السنين اللي فاتت دي كلها هيكون ولا حاجة، إنت ما تعرفش مراد يا آدم.
- خلاص يبقى نخلص منه.
- نقتله؟!
- أيوه نقتله، ما تقلقيش أنا عندي الحل اللي هيبين كل حاجة طبيعية بدون أية شبهة جنائية؟

ظللت مصدومة لم أستطع أن أتفوه بكلمةٍ واحدة، كنت أسمع فقط.

- أنا توصلت لعلاج جديد ممكن إنه يعمل سكتة قلبية للمريض لو اتاخد بجرعات معينة في خلال أيام.
- وانت عاوزني كل شوية أحط له الجرعات دي، لا لا لا أنا معنديش أعصاب لدا كله.
- ممكن خلال الفترة الجاية أشوف حل بحيث إن العلاج لو اتاخد مرة واحدة بكمية معينة يحدث الوفاة في خلال ساعات، هو مش بيغمى عليه بين فترة والتانية، وبيدخن كتير، وما بينامش غير ساعات قليلة في اليوم؟
- آه.
- كل دي أسباب للسكتة القلبية.

كان هذا ما اتفقت عليه أنا و «آدم «وها هو قد تحقق.. وقتها لم أكن أرى سوى نفسي فقط، لم أرَ سوى ما تبقى من عمري الذي كان محكومًا عليّ أن أكمله مع هرمٍ ذي مالٍ وسلطة ونفوذ، أن الحياة دائمًا ليست عادلة.

رجعت مرة أخرى حيث أنني كنت أتحدث لـ «**آدم**» في التليفون، وبينما أحادثه إذا بالشرطي «**أحمد محي**» يُشير إلي بأن دكتور الطب الشرعي يريد التحدث معي، فما كان لي إلا أن أنهي مكالمتي مع «**آدم**» ثم قمت بمسح سجل المكالمات من على التليفون، ثم خرجت من الغرفة بصحبة الشرطي متجهين نحو غرفة أخرى مقابلة لهذة الغرفة التي كنا بها، كان يجلس فيها الطبيب الشرعي «**حاتم**» على مكتبٍ يقبع علية جهاز كمبيوتر قد عفى عليه الزمن، من أمامه كرسيان جلست على أحدهما ثم بدأ حديثه معي:

- كنت قلتي لي أن زوجك كان دائم التدخين ومكنش بينام غير ساعات قليلة في اليوم، دا غير إنك قلتي إن في الأيام الأخيرة كان دايمًا بيغمى عليه بدون أي أسباب.
- أيوة فعلًا.
- إنتي تعرفي إن كل الحاجات اللي ذكرتيها دي بتسبب السكتة القلبية؟
- إنت قصدك تقول إنه مات بالسكتة القلبية؟

- مش انا اللي بقول دا العِلم هو اللي بيقول كده، وأكيد حضرتك أدرى بصفتك في شركة أدوية معروفة وليها تقلها في مصر والشرق الأوسط، بس دا احتمال، رغم إني أما راجعت ملفه الطبي ملقتش إنه كان في أي مرض وراثي في القلب زي «**اعتلال عضلة القلب**» أو أي خطرٍ على الشريان التاجي أو قصور في وظائف القلب.
- ممكن يكون أخفى عني حاجة زي كده، مراد كان خزنة أسرار نفسه، ممكن يكون دا جزاء إنه مكنش بيصارحني بحاجات من حقي عليه كزوجة إنه يبلغها لي.
- ممكن برضو!! بس كل دا هيبان لما أشرح الجثة.

تنهدت تنهيدة ثم أتبع الدكتور «**حاتم**» كلامه قائلًا:

- طيب كان بيعاني من أي حالات صرع، أو انفصام؟
- لا، هو مش كل دا مكتوب عندك في ملفه الطبي؟! بتسألني ليه؟

- لأنك إنتي اللي كنتي عايشه معاه الفترة اللي كانت باقية من حياته مش الدكاترة اللي كان بيتعالج عندهم.
- أيوة بس أنا مش شايفة أي علاقة بين أسئلتك واختفاء مراد.
- أنا بحاول على قد ما أقدر إني أخرج بنظرية توضحلي سبب وفاته، أنا شاكك في إنه ممكن يكون حصلت له «**كاتاليبسي**».
- أفندم!!!!!؟!؟؟؟

كانت علامات التعجب والاستفهام على كل من في الغرفة.

- «**كاتاليبسي**» أو الإغماء التخشبي، وهو حالة طبية مرتبطة بالصرع؛ تؤدي إلى تقلص استجابة المريض لأيةِ مؤثراتٍ خارجية، ويمكن أن تستمر لعدة ساعات وفي بعض الأحيان أيام، علشان كدة سألتك هل كان بيعاني من الصرع ولا لا؟

- إنت متأكد من اللي بتقوله دا يا دكتور؟!!! كان هذا الظابط «**إسلام الجزار**» متسائلًا.
- أنا أقرِّيت وأثبت وفاته من كام ساعة ومش أنا لوحدي لا دا كان في معايا اتنين دكاترة غيري، لكن اللي حصل يجبرني إني أعيد ترتيب الأمور من أول وجديد، وبعدين اللي بتكلم فيه دا مش هذيان دي حقائق ووقائع مثبتة وآخرها اللي حصل في أسبانيا.
- وإيه هو اللي حصل في أسبانيا يا دكتور؟.. كان هذا الشرطي «**أحمد محي**» متسائلًا.
- اللي حصل إن كان في سجين التقرير أثبت إنه مات وتم اعتماد دا من خلال ثلاثة دكاترة وبعد أربع ساعات من موته وأثناء ما هم داخلين عليه يشرَّحوه فاق ورجع تاني للحياة، ووكلات الأنباء العالمية كلها اتكلمت عن الحدث دا وتقدروا تتأكدوا من كدة كمان.

رددت عليه متسائلةً:

- لكن لو زي ما بتقول كده يا دكتور ليه ما طلبش النجدة من حارس الأمن؟! أو ليه متصلش بيا

على الأقل، أنا شايفه إن الكلام مش منطقي وفرضية إن الجثة اتسرقت هي اللي منطقية أكثر.

- والله أنا اللي بقوله الفرضية الطبية، مش الفرضية الجنائية.

رد عليه «**إسلام الجزار**» متسائلًا:

- طيب لو افترضنا الفرضية الجنائية بتاعتي، لو فعلًا مراد مات نتيجة سكتة قلبية، ليه الجثة اختفت ومين اللي سرقها؟

- زي ما في القانون في قاعدة بتقول «**المتهم بريء حتى تثبت إدانته**»، إحنا عندنا في الطب الشرعي في قاعدة بتقول «**كل حالة وفاة تعتبر جريمة حتى يثبت عكس ذلك**»، من الممكن أن تكون السكتة القلبية نتيجة لتناول بعض العقاقير أو حالات الإغماء المتكررة أو الإرهاق، في أسباب كثيرة جدًا، لكن منقدرش نحكم من غير ما أشرح الجثة.

نظر إلي الظابط «**إسلام الجزار**» ثم قال:

- ومن غير جثة مفيش تشريح.

«اللي بيفهم مش بيستريح..
اللي بيفهم بيتعب»

بعد فترةٍ من النقاش الأشبه بالاستجواب وكأنني أصبحت في وضع اتهامٍ مباشر؛ تركوني ثلاثتهم بمفردي داخل تلك الغرفة، جلستُ لفترةٍ ليست بالقليلة أحاول أن أرتب أفكاري وأفكر في كل حرفٍ وكلمة قالها الدكتور «**حاتم**»، هل من الممكن حقًا أن يعود الإنسان من الموت بعد عدة ساعات!؟! لا أعلم! هل عاد «**مراد**» من الموت لكي ينتقم مني ومن «**آدم**»، وإذا فعل ذلك وقام بقتلي وقتل «**آدم**» لن يثبت عليه أي شيءٍ لأنه أصبح في عداد الموتى، كنت أسمع أخبارًا عن أناس اعتقد ذووهم أنهم أموات فدفنوهم، ثم تبين بعد فتح القبر ثانية أو من بعض الأصوات الصادرة عن القبر أن المدفونين لم يكونوا أمواتًا، وبعضهم خرج من تابوته ليموت مرة ثانية من الرعب، هل من الممكن أن يكون «**مراد**» هو من فعل هذا عمدًا لكي يقوم بالانتقام خلف ستار موته حتى لا يشك أحد فيه؟! لا لا كل هذا درب من الجنون، إني متذكرة كل شيءٍ قمت به في ذلك اليوم، في الظهيرة قبل أن أذهب إلى العمل كنا قد تناولنا الشاي معًا وقد وضعت تلك المادة التي أعطاني إياها «**آدم**» بالجرعةِ التي وصفها لي في المياه حينما طلب «**مراد**» مني ماءً وتأكدت من أنه

قد قام بشرب كوب الماء كاملًا، وكان من المرات القليلة التي يشرب فيها المياه بتلك الطريقة وكأنها كانت ممزوجة برحيقٍ من الجنة، وبينما أتذكر ما حدث في تلك الليلة إذ بصوت تليفونٍ خافت أشبة بصوت «**الڤايبريشن**» حاولت أن أسترق السمع حتى أصل إلى ذلك الصوت فوجدت نفسي ذاهبة نحو باب حديدي في تلك الغرفة يؤدي إلى غرفةٍ أخرى وهي غرفة الأكفان، فتحت باب هذة الغرفة ثم دخلت، عند دخولي سمعت صوتَ إغلاق لبابٍ آخر، نظرت تجاه ذلك الصوت حتى وصلت إلى بابٍ حديدي آخر في نهاية هذه الغرفة، كان ذلك الباب يُغلق رويدًا رويدًا مصحوبًا بظلٍ معتم لشخص، ذهبت مسرعة باتجاه ذلك الباب ولكنني فوجئت بعودة ذلك التليفون بإحداث رنين مرة أخرى، بدأت أتفحص الغرفة مرة أخرى، أصبحت في منتصف تلك الغرفة المعتمة، بدأت أتحسس مصدر الصوت حتى وصلت إلى مصدر ضوءٍ على سريرٍ في الجهةِ اليمنى من الغرفة، ذهبت إلى هذا السرير وإذ بذلك التليفون مغطى بأحد الأكفان الموجودة بالغرفةّ!! أمسكت به وكانت هنا أولى الصدمات في تلك الليلةِ المشؤومة؛ حيث كان ذلك هو هاتف «**مراد**» الشخصي، نظرت إليه

مصدومة ثم أمسكته فوجدت المكالمة قادمة من رقم غير مسجل، قربته أكثر فأكثر مني، ثم ضغطت على زر الرد، ثم قربته أكثر فأكثر حتى وضعته على أُذني وإذ بي أسمع صوت نحيب شخصٍ وكأنه يصارع الموت وهو ينطق باسمي «**ساااااندرااا..ساندرااا**».

أغلقت التليفون دون ترددٍ ثم ألقيته جانبًا على أرضية الغرفة، ملأ الرعب قلبي، وأحسست بأن جسدي أصبح قطعةً من الثلج قادمة من القطب الشمالي، أحسست بأنفاسه الساخنة في أُذني، تلفت يمينًا ويسارًا وتفحصت الغرفة جيدًا، ثم بدأ ذلك التليفون بالرن مرة أخرى ولكن هذه المرة الرنة كانت مقتضبة، فضولي جعلني أذهب إليه مرة أخرى لأتفحصه، التقطته بعنايةٍ تامة وأنا أراقب تلك الغرفة المفزعة، نظرت إلى شاشة التليفون لأجد أنها رسالة واردة من نفس الرقم تقريبًا الذي رددت عليه منذ لحظات، قمت بالضغط على الرسالة لأفتحها وإذ بي أجد ما لم أكن أتوقعه وجدت الرسالة مكتوبًا بها (**١ - ٤... باندا.. آدم**)، كانت تلك الرسالة من شأنها أن تجعل الأدرينالين يصل لأكبر مستوياته في جسدي، أصبحت أتصبب عرقًا رغم

برودة جسدي، بدأت أتنفس بسرعةٍ بالغة وكأنني عدائةٌ أنهت للتو سباق ٥٠٠٠ متر، حينها تذكرت فحوى تلك الرسالة...

عصر يوم الخميس الموافق 1 ابريل

كنت جالسة في مكتبي بمقر الشركة أراجع بعض الحسابات في نهاية أسبوع عملٍ شاق نظرًا لأنه أول يوم في الشهر، وسط ذلك الزخم وتلك الفوضى التي كانت تجتاح عقلي المليء بالأرقام والحسابات دخل علي «**مراد**»، واضعًا يديه خلفه وهو يضحك....

- إيه لسه مخلصتيش لحد دلوقتي ليه؟
- مفيش في شوية حسابات لازم أقفلها.
- طيب ما تسيبي الحسابات دي دلوقتي وابقي راجعيها يوم السبت.
- مش ها ينفع يا مراد إنت عارف مش بحب أأجل شغل على شغل علشان ما يتكوِّمش عليا.
- إحنا نأجل الشغل ليوم السبت أحسن لأني محضر لك مفاجأة.

ومد يده إلى الأمام مخرجًا ورقتين أشبه بتذاكر الطيران ثم أتبع:

- كل سنه وانتي طيبة، ١ إبريل عيد ميلادك يا روح مراد، رغم إنه جاي في يوم الكذب العالمي لكن مقدرش أبخل عليكي في يوم زي دا، دول تذكرتين للبنان هنقعد هناك نغير جو شوية ونحتفل بعيد ميلادك النهاردة هناك، متبصليش كده، ما تقلقيش مش كذبة إبريل ولا حاجة.

أثناء حديثه لي جاءت لي رسالة من «**آدم**» كانت فحواها (**هستناكي النهاردة الساعه ٨ في كافية باندا.. بحبك**) قمت بحذف الرسالة سريعًا.

- ها قلتي إيه؟ يا ساندرا!
- هاه، لا معلش يا مراد أصلي تعبانه شوية النهاردة.
- دي لبنان يا ساندرا، حد يقول للبنان لأ؟!
- لا معلش يا مراد أنا مرهقة شوية، وحاسة إني مش كويسة من ضغط الشغل، وبعدين أنا ناسية إني حاجزة عند الدكتور النهاردة علشان أشوف إيه اللي بيحصلي الفترة الأخيرة دا، وبعدين

مش لازم لبنان والتكاليف دي كلها، نحتفل بيه النهاردة بعد ما أرجع من عند الدكتور.

بعد أن تذكرت ذلك اليوم ما كان لي إلا أن أُلقي بذلك التليفون اللعين مرة أخرى وأهرول متجهة نحو باب غرفة الدكتور «**حاتم**» لأعود من حيث أتيت، دخلت إلى الغرفة مسرعة، أخرجت تليفوني، ثم بدأت في الاتصال بـ «**آدم**»:

- ألو، ألو، أيوه يا آدم الحقني..
- ألو.. أيوه يا ساندرا، في إيه مالك؟ ليه بتتكلمي بسرعة كده، إنتي فين؟!
- مراد لسه عايش يا آدم، مراد لسه عايش.
- لسه عايش إزاي يعني، إنتي بتقولي إيه؟!
- والله زي ما بقولك كده.
- إزاي؟! إنتي هاتجنيني، إنتي مش حطيتي الجرعة اللي قولتلك عليها في الميه؟
- أيوة أيوة، وشربها كلها.
- الله! أومال إزاي عايش بقى إنتي هاتجنيني ليه الجرعة اللي أخدها دي تموت جمل، ومبتظهرش

في أي تحليل بعد أربع ساعات من شربها واحنا دلوقتي عدى على موته أكثر من ٨ ساعات.

- الفكرة مش كده، إنت متعرفش مراد يا آدم.
- قولي لي حصل إيه للخوف دا كله؟
- المرة الأولى لما كلمتك مكنتش عارفة أقولك أنا فين علشان الظابط دخل عليا فجأة.
- ظابط؟!
- أيوة ظابط، أنا دلوقتي في المشرحة، استدعوني علشان جثة مراد اختفت.
- اختفت؟! اختفت إزاي يعني؟!
- الدكتور بيقول كلام عن الإغماء التخشبي وكلام غريب كدة، لكن أنا مش مرتاحة للظابط اللي اسمه إسلام الجزار دا، بيكلمني كأنه بيستجوبني واني في موضع اتهام.
- إغماء تخشبي؟! واختفت؟! مستحيييييييل..
- المشكلة مش في كده!
- لما دا كله مش مشكلة، أومال المشكلة فين؟!!!

- المشكلة إني لقيت تليفون مراد في أوضة من أوض المشرحة فتحته لقيت في رسالة مكتوب فيها (**١ ـ ٤... باندا.. آدم**)، دا يوم عيد ميلادي، اليوم اللي روحنا فيه كافيه باندا.
- إزاي؟! مش معقول.
- والله زي ما بقولك كده، حاجه من اتنين يا إما في حد عارف اللي بينا وعارف اللي عملناه وبيبتزنا علشان يطلعلوا بقرشين من ورانا، يا إما مراد عايش يا آدم وبيلعب بينا، وهيفضل يعمل كده لحد ما يموتنا احنا الاتنين، وساعتها محدش هيقدر يثبت عليه حاجة لإنه بالنسبة للحكومة هو ميت.
- طيب والحل؟!
- الحل دلوقتي إننا نشوف حارس الأمن اللي كان في المشرحة، ونشوف أول ما يفوق من مفعول المهدئ هايقول إيه.
- وهو في مستشفى إيه؟
- في مستشفى الزهور.

- تمام، طقم التمريض هناك كلهم حبايبي.
- تمام.

بعدها جلست بمفردي في تلك الغرفة، أفكر فيما حدث، أسأل نفسي مجموعة من الأسئلة ليس من السهل الإجابة عليها، أولها كيف أتى ذلك التليفون إلى هذه الغرفة؟، ثانيها من الذي أتى به إلى هنا؟! هل حقًا مراد عاد من الموت؟! ما زلت لا أستوعب هذه الفكرة، ثالثها كيف علم بموعدي مع «**آدم**»؟ وكيف علم بأمر ذلك «**الكافية**»؟!! آاااااااه، كاد عقلي وقتها أن ينفجر، على أي حال إنني في انتظار ذلك الحارس، ما الذي رآه جعله مفزوعًا لتلك الدرجة، لعل «**آدم**» يأتي بخبرٍ جديد، أثناء تفكيري في تلك الأحداث؛ قام الشرطي «**إسلام الجزار**» باستدعائي، ذهبت له بصحبة أحد العساكر متجهين إلى أولى الغرف بالمستشفى، دلفنا إليها فوجدت أن الشرطي «**إسلام**» و «**أحمد**» وكذلك الدكتور «**حاتم**» موجودين في الثلاجة ويقفون أمام درج في منتصف الثلاجة مرقم برقم «١٣» وهو الدرج الخاص بجثة «**مراد**»، كان مفتوحًا على مصرعيه، وفي وسط ذلك الدرج صندوق

خشبي مفتوح على مصرعيه ومليء بالأكياس الصغيرة الممتلئة ببعض الأشياء التي لا أميزها لبُعد المسافة عني، وما إن وصلت حتى نظر إلي ذلك الشرطي نظرة تنم على التربص بي، بدأ في الدوران من حولي وهو ينظر إلي، والجميع يرمقونني بالنظر ثم قال:

- درج الثلاجة الخاص بجوزك لقينا عليه صندوق المتعلقات بتاعته.
- وإيه المشكلة مش فاهمة؟
- المشكلة إن في حاجه من متعلقاته اختفت.
- حاجه؟! حاجه زي إيه؟!
- بصي كويس كده.

نظرت إليه فوجدت كيسًا به ساعته الشخصية، ودبلته، وسلسلته، وكيسًا آخر مفتوحًا ولكن به تليفون صغير لا أعتقد أنه يخص «**مراد**».

- أنا مش فاهمة حاجه.
- أفهِّمك أنا بقى، التليفون دا مش تليفون جوزك دا لو انتي مش عارفة يعني، المفروض إن تليفون جوزك كان من ضمن المتعلقات بتاعته، وهوبا

كرسي في الكلوب اختفى، واتحط مكانه تليفون تاني وتم الاتصال بالتليفون دا من دقايق؟! يا ترى مين اللي ممكن يكون بيتلاعب بينا يا مدام ساندرا.

- على فكرة أنا متحركتش من الأوضة.
- وانا مقولتش إن انتي أخدتيه على فكرة.. قال تلك الجملة وهو يقوم بعمل تلك الحركة الدائرية لذلك الخاتم في ذلك الإصبع المقطوع.

أحسست بأن الدائرة تُغلق علي، وأن هذا الشرطي لن يتركني حتى يفضح أمري، بدا علي الارتباك؛ فطلبت منهم أن أذهب لكي أدخن، فأشار إليّ ذلك الشرطي بالذهاب إلى الغرفة المخصصة للمدخنين وكانت تلك الغرفة في الخارج، ذهبت بمفردي مسرعة وأنا أحاول أن أخرج علبة السجائر من حقيبتي، بدأتُ أقلب فيها حتى وجدتها، ثم بدأت أبحث عن القداحة حتى وجدتها، أخرجت السيجار من العلبة، وضعتها في فمي وأنا أتنفس بسرعةٍ بالغة، أمسكت بالقداحة محاولة إشعال تلك السيجارة مرة في الثانية في الثالثة حتى أشعلتها، ثم أخذت جرعة من ذلك

النيكوتين الذي طالما أحسست بأنه يساعدني على مواصلة يومي، الجميع يرى أن التدخين يسبب الوفاة ولكنني أدخن لأحيا، كنت أجلس على أرضية تلك الغرفة المريبة المخصصة للمدخنين أسند رأسي على جدار تلك الغرفة وأدخن سيجارة تلو الأخرى، محدثة غمامة من الدخان الأبيض الذي فاق تأثيره تأثير القنابل المسيلة للدموع.. فوق ذلك الجدار الذي كنت مسنودة عليه توجد نافذة زجاجية، شعرت وكأن أحدًا ينظر إلي من خلفها، بدأت أقف ببطءٍ شديد حتى استقمت، ثم قمت بالاستدارة رويدًا رويدًا حتى اقتربت منها، كان يظهر شكلي في انعكاس تلك النافذة الذي سرعان ما تلاشى مع ملامسة وجهي لتلك النافذة، ثم قمت بضم وجهي بيدي محاولة لتجميع الرؤية لكي أحاول جاهدة أن أرى ماذا يوجد خلف تلك النافذة، وفجأة ظهر لي «**مراد**»، رجعت إلى الوراء مفزوعة فاصطدمت بجسد شيءٍ لم يتحرك من مكانه، بدأت أتحرك ببطءٍ شديد حتى أصبح ذلك الشيء يملأ قزحية عيني، وكان ذلك الشيء فعلًا «**مراد**» كما تخيلت، وضع يده حول عنقي وبدأ بالضغط على حنجرتي حتى شعرت بالاختناق، ثم فجأة بدأ جرس تليفوني يُحدث ضجيجًا،

ثم قمت من موضعي ذلك وأصبحت أتلفت يمينًا ويسارًا، تبًا لذلك الكابوس، حمدت الله وقتها أنه كان كذلك، نظرت إلى تليفوني فوجدته «**آدم**» لعله يأتي إليّ بخبرٍ يزيل تلك الغمامة التي تشوش على تفكيري، وجدته يخبرني أن الحارس موجود داخل مستشفى «**الزهور**» وهو بالفعل نائم تحت تأثير حقنة المهدأ، وقال له أحد الممرضين أنه أتى إلى المستشفى في حالةِ صرع وكان يهذي بكلماتٍ غير مفهومة، وكان مرعوبًا وكان دائم النظر خلفه حتى عندما قاموا بحقنه، أنهيت مكالمة «**آدم**» التليفونية ثم وقفت أُحدق في هذه الغرفة يمينًا ويسارًا، ظللت أفكر وأفكر حتى شعرت بأن رأسي على وشك الانفجار، بعد لحظات سمعت صوتًا ينبعث من الباب الحديدي الخاص بهذه الغرفة، ذهبت تجاه الصوت فوجدت علبة تُشبه علب الدواء ولكن لم يكن مدونًا عليها أي شيء، أمسكت بها ثم تفحصتها ومن ثم بدأت في فتحها وإذ بورقةٍ صغيرة مكتوب بها «**لست الأذكى.. بتذاكيك تظل الأغبى**» وكانت تلك الورقة مصحوبة بـ «**أمبول**» خاص بذلك الشيء الذي أعطاني إياه «**آدم**» لكي أضعه لـ «**مراد**» في المياه، أصبح عندي يقين بأن مراد قام بفعل شيء ما

بمساعدة أحد الأشخاص لكي يقوم بالانتقام مني ومن «**آدم**»، ما كان لي وقتها إلا أن أسترجع ذاكرتي بعد تلك الرسالة المكتوبة والمرفق معها ذلك الـ «**الأمبول**»، أتذكر جيدًا في هذه الليلة أنني قد وضعت كامل الجرعة التي وصفها لي «**آدم**» في كوب المياه الخاص بـ «**مراد**»، هل من الممكن أن يكون «**مراد**» قد قام بتبديل كوب المياه بكوبٍ آخر؟! بين تلك المعطيات الغامضة لا أستطيع إيجادً أي تفسيرٍ لما أنا فيه سوى أن «**مراد**» سوف يقتلني ويقتل «**آدم**» لا محالة، بسرعة كبيرة أمسكت تليفوني وقمت بطلب «**آدم**»:

- ألو يا آدم.
- ألو يا ساندرا.
- الأمبول اللي ادتهوني علشان أحطه لـ مراد.
- ماله؟
- حد جبهولي دلوقتي وانا في المشرحه ومعاه رسالة فحواها إني لو أنا ذكية ففي الأذكى مني، في حد بيحاول يتلاعب بينا، حد عارف إننا قتلنا مراد، وممكن مراد نفسه هو اللي بيعمل

كده، وممكن دا يكون كابوس، أنا بقيت مشتته مش قادرة أفكر.

- اهدي يا ساندرا اهدي.
- طيب هو انت اتكلمت مع حد في الموضوع دا؟
- موضوع إيه؟
- موضوع إننا نقتل مراد.
- لا طبعًا أنا مش غبي علشان أتكلم في حاجه زي دي.
- أومال إيه اللي بيحصل دا؟
- مش عارف شوفي انتي، ممكن تكوني اتكلمتي مع حد كده أو كده.
- لا طبعًا إزاي، أنا مش قادرة أفكر، بص يا آدم إنت لازم ترجع البيت تلم هدومك لحد ما أجيلك، ولو حد سألك قوله واخد إجازة، وانا هحاول أخلص من اللي أنا فيه دا واحصلك، مراد عايش وفي حد بيساعده، ولو فضلت قاعدة هنا عمري ما هكتشف حاجة وهيخلَّص عليا وعليك.

- الموضوع بدأ يكبر يا ساندرا، أنا مش عاوز حاجة لا فلوس ولا غيره المهم اننا نمشي ونسيب البلد دي.
- تمام، تمام روح انت بس حضَّر هدومك وانا هحاول أخلص واكلمك.
- بحبك.
- بحبك.

دخل عليَّ متسللًا كالثعابين الظابط «**إسلام**» ومعه «**أحمد**»، ثم نظر إلى تلك العلبة الفارغة قائلًا:

- إيه اللي في إيدك دا؟
- دا ددا، دي علبة لقيتها في الأوضة.
- علبة ولقيتها في الأوضة، مممم طيب ممكن أشوفها، دا لو مش هيضايقك يعني.
- لا، وانا هيضايقني في إيه يعني، اتفضل..

أعطيت العلبة له وكان من حُسن حظي أن تلك الورقة التي كان بها الرسالة صغيرة فضممتها في يدي، ثم أمسك بالعلبة وتفحصها جيدًا ثم أخرج منها هذا الـ «**أمبول**» أمسكه بسبباته وإبهامه ورفعه تجاه الضوء لكي يستطيع

قراءة المدون عليه، ثم أنزله وأعطاه إلى الشرطي «**أحمد**» وقام بالنظر إليه بتمعنٍ ثم أردف قائلًا:

- ممكن تقوليلي إيه دا؟
- دا علاج.
- آه علاج، بتاع إيه؟
- مش عارفة.
- وإيه اللي جابه معاكي هنا؟
- أنا مجبتش حاجة.. أنا بقولك لقيته هنا في الأوضة واقع على الأرض.
- أوضة إيه وأرض إيه، إنتي شايفاني داقق عصافير!!، يا أحمد!
- أوامرك يا افندم.
- طوقلي المشرحة بالمستشفى واعملوا لي بحث في المستشفى والمشرحة وحواليها، دوروا على أي حاجة وأي حد تشتبهوا فيه استجوبوه، أما انتي بقى...

قالها وهو ينظر إلي بتفرسٍ ويجز على أسنانه:

- فمش هتخرجي من هنا إلا لو لقيت الجثة أو لقيت اللي سرقها.
- اللي بتعمله دا مش قانوني على فكرة!
- قانون إيه يا ام قانون، ولعلمك لو لقينا الجثة مش هتخرجي برضو غير لما تتشرح وتطلع كمان نتيجة التشريح، عشان تبقِي تعلميني القانون، إيه القرف دا البلد كلها خلاص بقت دارسة قانون!

وفي أثناء تلك الحالة من الشد والجذب وإذا بتليفوني يرن، نظرت له فكان «**آدم**»، ثم نظرت إلى «**إسلام**» الذي بدوره قال لي:

- ردي.

فقمت بالرد على التليفون:

- ألو أيوه يا ماما.
- أنا في طريقي للبيت دلوقتي، بس حصلت حاجة ولازم أبلغك بيها.

- لا مفيش يا ماما شوية إجراءات علشان تصاريح الدفن وكده، لا يا حبيبتي مش هتأخر حاضر، سلام.

بعد أن أنهيت المكالمة اقترب مني «**إسلام**» وقال:

- مكالماتك كتيرة انتي.
- لا دي ماما..
- ماما؟ مممم، طيب خليها تدعي لك بقى، خدها معاك يا أحمد وابقى بلغني بأي جديد، ومتنساش تبعت الأمبول دا علشان تعرف لي إيه اللي كان فيه بالظبط؟

السكوت علامة رضا.. وممكن يبقى
علامة ندم.. بس أوقات كتير بيبقى
علامة احتياج..

داخل المصحة النفسية في غرفة الدكتور.

أجلس أمام ذلك الدكتور الشاب المفعم بالحياة، يجلس مستمعًا لي بعنايةٍ وأنا أرى في عينيه الكثير من التساؤلات التي تزينت بعلامات استفهام مصحوبة بعلامات تعجب، أعلم أنه ليس كل مريضٍ نفسي معفيٌ من العقاب، ولكن الله عاقبني على الجرم الذي ارتكبته في حق «**مراد**» بأن أصبحت قعيدة طيلة تلك السنوات، لم أتصنع أو أكذب أو أدعي الجنون، بل كان عقابًا من الله، أشرت إليه بأن يوقف التسجيل، ثم نظر إلي وهز رأسه بالإجابة، ثم سألني عن السبب في عدم استكمال القصة، هل لحزني؟ نظرًا لاسترجاعي لتلك الذكريات الأليمة، أم لإرهاقي والرغبة مني في استكمال هذه القصة في الصباح؟، ولكن لم يكن أيٌّ من السببين هو السبب في عدم استكمالي للقصة، ولكنني حاولت أن أجيب على كل التساؤلات، فقولت له:

- أنا عارفة إنك بتسأل نفسك أسئلة كتير وانا بحكي ومش لاقي ليها إجابات؛ ليه قتلته رغم إني كنت عاشية معاه ملكة زي ما بيقولوا؟ لكن الناس

مش شايفه غير المظاهر ومبتحكمش غير على الشكل اللي شايفينه، الشغل الخارجي اللي دايمًا بيكون خداع، الناس مش شايفه غير الشركة والعربية والمجوهرات والابتسامة «**الفيك**» اللي مضطرة إني أظهرها لكل الناس، لكن الناس ما تعرفش إيه اللي ورا الابتسامة دي، ما يعرفوش إيه الثمن اللي دفعته قصاد إن يبقى معايا كل دا واكون في المركز اللي أنا وصلت له، أفضل وسيلة نخفي بيها وجعنا وحزننا هي الابتسامة المزيفة،....

كان ينظر لي باهتمام، وكان لسان حاله يقول: الجميع مثلك، الجميع مليء بالهمومٍ ولكن لا يُقدمون على القتل، ابتسمت له ثم أكملت:

- واحدة ماتت، لقوها في نص أوضة فاضية وواسعة في مكان نائي مفيهوش -صريخ ابن يومين- زي ما بيقولوا، كانت رابطة رقبتها بحبل، والحبل دا مربوط في خشبة متعلقة في سقف الأوضة، وما بين كل الحيطان اللي في

الأوضة دي مسافة متقلش عن ١٠ متر يعني محدش هيقدر يلحقها بأي مساعدة، ولقوا إن المسافة بين رجلها والأرض متقلش عن متر ونص، يا ترى ازاي حطت الحبل دا في الخشبة اللي في سقف الأوضة؟!

ضم حاجبيه مستعجبًا لا يجد إجابة على سؤالي، ثم أتبعت:

- جابت لوح ثلج وحطته في وضع رأسي، ووقفت عليه لحد ما ساح، بقت لا طايله سما ولا أرض بعد دقايق قليلة، حكمت على نفسها بالموت وكانت شايفه نفسها بتموت بالبطيء، أهو دا كان حالي، كنت بموت بالبطيء مع كل لحظة كان مراد فيها بيعاملني كأني شيء من ممتلكاته، مع كل لحظة كان بيحاول يفهمني فيها إن هو صاحب الفضل في اللي أنا كنت فيه، لحد ما حسيت إنه ممكن في أي لحظة مطولش أي حاجة من العز اللي كنت فيه.

- بس انتي كنتي مبسوطة يا ساندرا، معتقدش إن الاكتئاب والكبت اللي انتي كنتي فيه يخليكي تقتلي.
- هههههههههه، مبسوطة! أنا مكنتش بدور على السعادة لإن السعادة بتبقى حاجة لحظية، أنا كنت بدور على الراحة، إنك تكون مرتاح أحسن بكتير من إنك تكون مبسوط.
- عندك حق.

سكتنا لبضع دقائق ثم قال لي:

- تحبي نكمل بكرة لو تعبتي؟!
- لا متعبتش ولا حاجة أنا عاوزة أحكي كل حاجة النهاردة.
- طيب لو حسيتي إنك عاوزة توقفي قولي لي وانا هنادي على الممرضات ييجوا ياخدوكي.

وبابتسامةٍ مزيفة كعادتي رددت:

- حاضر.

أشرت إليه بأن يقوم ببدء التسجيل من جديد.

متقبلش إنك تكون سد خانة في
وقت فراغ.. يا إما الوجود الدايم أو
الغياب النهائي..

داخل مشرحة المستشفى

كنت أجلس على كرسي معدني عتيق في ممر المشرحة، أصبحت حوافه تأخذ اللون القصديري نتيجة للصدأ، أجد نفسي جالسة أمام الغرفة التي تخص ثلاجة الموتى؛ صامتون ينتظرون قرار «**حق إكرامهم**» ليواريهم الثرى، جمَّدت أجسادهم الضعيفة البرودة دون أن يكون لهم من أمرهم شيء، بُعثت أرواحهم للسماء، وبقيت أجسادهم في الدنيا، جثث تمضي أيامًا وأسابيعًا في ثلاجاتٍ تصل درجة حرارتها إلى ما دون (٢٠) درجة تحت الصفر، ظهر على بعضها علامات التعفن، وانبعثت منها روائح كريهة لطول فترةِ بقائها، تلك الجثث التي لا ترحم لو كانت في قسم «**المجاهيل**» حيث تؤخذ معظم هذه الجثث إلى طلاب كلية الطب ليقوموا بدراسة علم التشريح من خلالها.. كنت لا أعلم ماذا يخبئ لي القدر في الساعات الباقية من هذه الليلة، تلك الليلة التي كانت توحي بما لا أريد أن أتخيله ولا زالت لم تبُح بعد بكافة أسرارها وخباياها، أحدثت الأنوار التي بتلك الغرفة رعشة انطفأت على إثرها لبضع ثوانٍ ثم عادت تلك الأنوار، ثم بدأ البرق يقسم السماء صانعًا خطوطًا مضيئة مصحوبة

برعد صوته يهز الجبال وترتعد له الفرائص، ثم هبت رياح عاتية مزمجرة تستعرض عضلاتها في سكون الليل، تلطم النوافذ والأبواب، تصدر صوتًا مخيفًا وكأنها تطلق صافرات لبدأ الأمطار، ثم بدأ المطر ينهمر بغزارة؛ الأنوار تنطفي وتعود للإنارة، كانت هناك نافذة في الجدران تنفتح وتنغلق محدثة صريرًا مخيفًا، نهضت من على الكرسي ثم سرت بخطى بطيئة مرتعدة نحو النافذة ثم نظرت منها فلم أجد إلا ظلامًا حالكًا كسواد شعري المنسدل على أكتافي، وبينما أغلق تلك النافذة إذ بصوت خطواتٍ خفيفة في ذلك الممر، نظرت خلفي في خوفٍ بسرعة فوجدت باب غرفة ثلاجة الموتى يُغلق رويدًا رويدًا، وكان هناك شخصًا ما تسلل إلى تلك الغرفة، لم أحرك ساكنة حتى وجدت في آخر ذلك الباب شيئًا يلمع تحت تأثير ضوء البرق المنبعث من النوافذ الموجودة بالمكان، ذهبت لأستكشف الأمر فوجدت ساعة اليد التي أهديتها إلى «**آدم**» في آخر لقاءٍ جمع بيننا والذي كان قبل الحادث بيوم! علامات تعجب واستفهام كثيرة، ارتعدت أوصالي وأصبح لساني يرتعد خوفًا وبدأت أتلعثم وأخذت الهواجس تساورني، ثم تحركت ببطءٍ وحذرٍ نحو هذه الساعة وقدماي مثقلتان

بالكاد أستطيع أن أحركهما، التقطتها فوجدت عقاربها متوقفة، وشد انتباهي أنها كانت متوقفة عند الساعة العاشرة وكان في قلبها مكانًا للتاريخ وكان التاريخ متوقفًا عند DEC 7، جن عقلي وبدأت أرتعش رعبًا وخوفًا وفزعًا، كل الكلمات التي تنم عن الخوف كانت من الممكن أن تصفني، فتذكرت ذلك اليوم..... دقات الساعة العاشرة مساءً داخل ذلك الكافية الذي كنا نلتقي به:

ـ كل سنة وانت طيب يا أحلى آدم في الدنيا.

أخرجت الساعة من كيس الهدايا الذي كنت أمسكه، ثم نظر إلي بنظرات مليئة بالحب والفرح وكأنها كانت تضحك ضحكة عالية ملأت أرجاء وجهه الجميل، ثم أمسك يدي وطبع عليها قبلة، وقال لي:

ـ وانتي طيبة يا أغلى ساندرا في الدنيا.

كنت أجلس فقط لأتأمله، كنت أخاف من فقدان تلك الابتسامة التي أعادت لي الحياة من جديد بعد أن كنت في عداد الموتى.

ـ أنا مقدرش أنسى عيد ميلادك يا آدم، إنت بقيت أغلى حاجة عندي.

- ربنا يقدرني واقدر أفرحك زي ما بتفرحيني كده يا ساندرا.

بعد أن تذكرت تلك الليلة، رجعت مرة أخرى إلى تليفوني لأخرج رقم «**آدم**»، طلبته..

- ألو، أيوة يا آدم، هي ساعتك فين؟
- ساعتي؟! في إيدي، ليه؟
- مش قصدي اللي في إيدك، أقصد الساعة اللي جبتهالك يوم عيد ميلادك؟
- في الشقة، ليه بتسألي؟! في إيه يا ساندرا؟
- الساعة بتاعتك في إيدي دلوقتي في المشرحة، حد جابها رماها عند باب ثلاجة الموتى.
- إنتي بتقولي إيه؟! إزاي يعني؟!
- مش بس كده، دا الساعة واقفة عند الساعة ١٠ وتاريخها واقف عند ٧ ديسمبر، ودا الميعاد اللي اتقابلنا فيه، وتاريخ ميلادك.
- إزاااااااي؟! إنتي هتجنينيني!!
- والله زي ما بقولك كده.
- مش معقول، مش ممكن.

- آدم، مراد بيلعب بينا، ولازم ندور عليه.
- أنا ابتديت أترعب من اللي بيحصل، ولازم أروح الشقة.
- لا متروحش، أنا خايفة عليك.
- لازم أروح يا ساندرا، أنا في طريقي للشقة أصلًا، مش دا كان اتفاقنا؟
- طيب خد بالك من نفسك.
- حاضر، وانتي كمان.

صمت لثوانٍ ثم قال:

- ساندرا.
- نعم.
- بحبك.
- وانا كمان بحبك.

أنهيت تلك المكالمة التي أخافتني أكثر، فقد أصبح عندي يقينًا أنني و «**آدم**» كنا مراقبين من «**مراد**»، ولكن من الذي كان يساعده؟ فـ «**مراد**» لم يكن عنده من الوقت الذي يسمح له بمراقبتنا، أمسكت الساعة ثم وضعتها في حقيبتي النسائية ذات اللون الأسود، ثم بدأ الفضول

يستحوذني؛ فقررت أن أدخل إلى ثلاجة الموتى، مددت أطراف أصابعي نحو باب الثلاجة، كان باردًا للغاية، بدأ ذلك الباب المعدني يفتح رويدًا رويدًا محدثًا صريرًا مخيفًا، تقدمت خطوة إلى الأمام حتى أصبحت بكامل جسدي داخل الغرفة التي أُغلق بابها مرة واحدة محدثًا صوتًا مفزعًا، كانت الأجواء داخل الغرفة باردة جدًا، ورائحة الموتى كانت طاغية، أَسِرة كثيرة ملقى عليها من فارقوا الحياة بكل ذيفها ونفاقها، يقبعون داخل أكياس سوداء، بينما أنظر إلى كل هذه الجثث راودتني هواجس مريبة وبدأت أسمع أصوات صفير، ولكن سرعان ما اختفت تلك الهواجس حينما حاولت تتبع الشخص الذي ألقى بالساعة على أول باب تلك الغرفة، بدأت أبحث يمينًا ويسارًا ولكن دون جدوى حيث لا أرى إلا تلك الجثث داخل الغرفة لا تُحرك ساكنة، كان لا بد أن أبحث فيما حول تلك الجثث، من الممكن أن يكون من ألقى بتلك الساعة هو «**مراد**»، كنت أعلم أنه دربٌ من الجنون، كيف للميت أن يعود إلى الحياة مرة أخرى، ولكن لم يكن أمامي سوى أن أصدق هذا الدكتور، بدأت أتفحص الجثث وأنا يتملكني الخوف، ولكن لم يكن أمامي سوى أن أبحث لكي أنتهي

من هذا الكابوس المرعب، بدأت أتفحصها واحدة تلو الأخرى، كنت أقوم بفتح ذلك الكيس، الكيس الأسود حتى أرى الوجة فقط، بدأت أتفحص جثة تلو الأخرى، ولكن لم أجد شيئًا حتى وجدت في نهاية الغرفة دفترًا كبيرًا أسودَ اللون ملصقًا على صدره ورقة بيضاء مكتوبًا عليها «**يومية الموتى**»، فتحت الدفتر لأتفحص الأسماء الموجودة داخل الغرفة لكنني وجدت شيئًا غريبًا! لم أجد اسم «**مراد**» داخل دفتر يومية الموتى، ولكن لم يكن هذا الشيء الوحيد الغريب، حيث وجدت اسم «**وليد عابد**»!، «**وليد عابد**» هو المحامي الخاص بـ «**مراد**»..

- مراد، مين اللي كنت واقف معاه هناك دا؟
- ليه؟
- لا أصلكوا كنتوا بتتكلموا وبتبصوا لي؛ فأكيد يعني كنتوا بتتكلموا عليا!
- عارفة أكتر حاجة مزعجة في الستات إيه يا ساندرا؟

نظرت له بتعجبٍ ثم أكمل:

- إنكم بتبقوا عاوزين تعرفوا كل حاجة، كل حاجة بتحصل حواليكم بيبقى ليها سبب والسبب دا مرتبط بيكم، دايمًا عايشين في نظرية المؤامرة.

بابتسامةٍ مصطنعة رددت عليه قائلةً:

- لا مش كده على فكرة، احنا كستات بنعشق حاجة اسمها تفاصيل.
- إنتوا مش بتعشقوا التفاصيل، إنتوا بتعشقوا الملل، على العموم دا المحامي بتاعي الجديد.
- محامي جديد! ليه؟ ماله فؤاد؟
- فؤاد المحامي بتاع الشركة والمحامي بتاعي في نفس الوقت، والشركة فيها مساهمين منهم إنتي، وانا شايف إن كده في تضارب.
- تضارب، من إمتى يا مراد؟ من إمتى كنا اتنين؟
- اتنين؟! قولي من إمتى كنا واحد؟!

تذكرت ذلك الموقف الذي كان في احتفالية الشركة السنوية، بعد ذلك الموقف بدأت الشكوك تساورني حول «**مراد**»؛ فتتبعت تحركاته مع هذا المحامي حتى استطعت بمساعدة «**آدم**» أن أقوم برشوة هذا المحامي، وبالفعل

تقبل الأمر وقام «**آدم**» بترتيب لقاء بيني وبينه، كان اللقاء في مكان عام داخل أحد المطاعم النيلية الراقية:

- لما شوفتك في حفلة الشركة كنت حاسة إن في حاجة غلط بتحصل حواليا وكان لازم أعرفها، علشان كده رتبت المعاد ده.
- وانا عارف انتي عاوزة تعرفي إيه.
- يبقى متفقين.
- لا، مش معنى إني عارف يبقى متفقين، كل حاجة وليها ثمن.
- أكيد طبعًا يا متر، ودا عربون.

مددت يدي على الطاولة بظرفٍ أصفر اللون؛ فنظر له نظرة الكلب الجائع يسيل لعابه أمام أول فتات:

- بصي يا مدام، مراد بيه عمل تقييم للمتلكات، وبمعنى أصح قلشك.
- إنت بتقول إيه؟!
- بقول اللي سمعتيه، الظاهر إن مراد بيه كان حاسس أو بمعنى أدق عارف اللي بينك وبين الشاب اللي بعتيه ليا علشان يرتب الميعاد دا،

علشان كده قرر إنه يشيل اسمك من التركه، وكتب الوصية خلاص.

- يعني إيه، أنا كده طلعت من المولد بلا حمص؟!
- لحد دلوقتي لسه.
- إزاي لسه؟
- لإنه لسه مماتش يبقى لسه.

نظرت إلى ذلك المحامي الخبيث وهو يرمقني بنظرةٍ لامعة وكأنه يعلم ما أنا مقدمة عليه.

- بص يا متر أنا عارفة إن مهنة المحاماه دي مهنة الشرفاء، بس في منهم اللي ميعرفش حاجة عن الشرف؛ لأن في اللي بيدور على أي ثغرة في القانون علشان يخرَّج الموكل بتاعه من التهمة اللي هو فيها حتى لو هو ارتكبها، علشان كده أنا هعمل معاك ديل.

نظر إلي بابتسامةٍ خبيثة ثم أتبعت:

- هي الممتلكات قيمتوها بكام؟
- دي أسرار موكلي، مينفعش أطلعها.
- طب لو كده.. مددت يدي بظرفٍ آخر.

- حيث كده يبقى الممتلكات تقريبًا معدية الـ ٧٠٠ مليون.

وقع الرقم على مسامعي كالصاعقة:

- إنت بتقول كام؟!
- زي ما قولتلك كده يا مدام ٧٠٠ مليون.
- ومراد هيديلك كام؟
- اللي بيني وبين مراد بيه شغل كتير.
- كتير قليل بس معتقدش إنه هيديلك ٧ مليون مثلًا، 1% من التركة مقابل إن الوصية دي متظهرش أو تتغير لمصلحتي وقت وفاته.
- والله إذا كان الكلام كده يبقى ممكن نخليها 2.5% زي أي سمسار عقارات.
- هما ١٠ مليون ومش هتاخد أكثر من كده.
- براحتِك بس أنا مش هاخد أقل من 3% وكلمة زيادة عن الرقم هعلي العمولة.
- لا لا خلاص موافقة 2.5%.
- تلاااته..

لم أكن أتخيل يومًا أن يقوم «**مراد**» بعمل إعادة تقييم للممتلكات، أو بمعنى أوضح قام بعمل تقنين لوضعي في الشركة، وبدأ في كتابة الوصية الخاصة به وأنني سوف أكون في العراء، سوف أعود إلى نقطة الصفر بعد كل ما وصلت إليه، كنت أعلم أنني لست ملاكًا، ولكن كثيرًا ما أردد داخلي «**أنا لا أستحق كل هذا**»، لا أستحق كل هذه الفوضى وهذا الظلم، وكل ما توصلت إليه بدأ بعدم ارتباطي بأول من طرق باب قلبي، مرورًا بعلاقتي مع «**آدم**»، نهاية بقتلي لزوجي، دائمًا ما نقول بعض الكلمات التي تنم عن اليأس وخيبة الأمل مثل كلمة «**عادي**» تلك الكلمة التي تكون اختصارًا لحالةٍ من الفوضى والحزن الذي بداخلنا، وكلمة «**مفيش حاجة مستاهلة**» التي تقال عند أول خيبةِ أمل في قلوبٍ أحببناها، وتقال على أحلام تعلقنا بها ولكن لم تكتمل، وتقال عند كل هذه الظروف التي أعدت لكي تقف كالحجر أمام طريقك، أتعلم ما هو الإحباط؟! هو أنني أعلم أن الحياة سوف أعيشها مرة واحدة، ولكن في النهاية وجدت أنها ليست الحياة التي كنت أحلمُ بها؟!

بدأت أنظر من حولي يمينًا ويسارًا، كنت أقف في منتصف الغرفة، أخرجت هاتفي وبدأت في طلب «**آدم**»،

طلبته كثيرًا ولكن دون استجابة، مسحت سجل مكالماتي، وتركت دفتر يومية الموتى على كرسي عتيق كان موجودًا بالغرفة، ثم ترجلت نحو الباب لكي أخرج من تلك الغرفة المفزعة، وعندما خرجت بدأ تليفوني في الاهتزاز، أخرجته فوجدت مكالمة واردة من «**آدم**»:

- ألو إنت كنت فين يا آدم؟ قلقتني عليك.
- أنا عملت الموبايل صامت علشان كنت حاسس إن في حد ماشي ورايا.
- إيه؟!
- زي ما بقولك يا ساندرا، في حد كان ماشي ورايا لحد ما وصلت باب العمارة، وقفت شوية وفضلت أبص يمين وشمال ملقيتش حد لغاية ما وصلت باب البيت، كنت حاسس إن ف حد طالع ورايا السلم لحد ما دخلت البيت لقيت الشقة مقلوبة يا ساندرا مقلوبة.
- إهدى إهدى.
- أنا بقيت مرعوب، أنا مكنتش متخيل إني ممكن أوصل لكده.

- إهدى بس يا آدم بالطريقة دي مش هنعرف نفكر.
- نفكر؟! نفكر في إيه؟! هو في حاجة تاني هنفكر فيها؟!
- إنت لقيت إيه في الشقة طيب؟
- لقيت إيه؟! قولي ملقيتش إيه؟! الساعة اللي كلمتيني عليها ملقيتهاش، دا غير إني لقيت اللاب بتاعي مفتوح وخلفية الديسك توب عليها صورتي وصورتك ومرشوش على وشوشنا دم، دا غير الفلاشة اللي لقيتها موجودة على اللاب، فتحتها لقيت فيها صورنا في كل مكان احنا كنا بنروحه حتى بيتي، إحنا كنا متراقبين من البداية يا ساندرا.

للحظةٍ شعرت أن النهاية قد اقتربت وأثناء حديثنا أحسست بخطواتِ أقدام تتجه نحوي، فتلعثمت في الكلام:

- هكلمك تاني يا آدم، لم هدومك انت بس وامشي بسرعة.
- ساندرا، يا ساندرا!

- سلام يا آدم سلام.

أغلقت الهاتف ثم مسحت سجل مكالماتي، ثم أتى لي الظابط «**إسلام الجزار**» بصحبة ذلك الظابط الشاب:

- ممكن أعرف كنتي بتكلمني مين؟

كان هذا الظابط إسلام الجزار.

- كويس إنك جيت يا حضرة الظابط.
- هههههههههه خير يا مدام في حاجة تستاهل إنك تتهربي من سؤالي؟
- أنا مش بتهرب ولا حاجة، بس في حاجة لازم تشوفها ضروري.
- حاجة؟! حاجة إيه دي؟!
- تعالوا معايا.

نظر الظابطان إلى بعضهما البعض في نظرة تعجب مصحوبة بابتسامةٍ شيطانية مصطنعة، ثم أشرت إليهما بالتقدم نحو غرفة الثلاجة، دخلت أولًا ثم دخلوا من بعدي، وبمجرد دخولي إلى الغرفة توجهت صوب ذلك الكرسي العتيق الذي يوجد عليه دفتر يومية الموتى، ذهبت مسرعةً محدثةً صوتًا عاليًا بسبب ما أرتديه في قدمي من

حذاءٍ ذي كعبٍ عالي، حتى وصلت إلى دفتر يومية الموتى، أمسكته ثم مددتهُ إلى الظابط «**إسلام الجزار**»:

- اتفضل.
- إيه ده؟!
- دا دفتر يومية الموتى.
- ماشي إيه المشكلة يعني فيه؟
- افتحه بس واقرأ اللي متسجلين النهارده.

نظر إلي ثم نظر الظابط الشاب «**أحمد**» وبدأ في فتح الدفتر:

- اسم جوزك موجود على فكرة.
- أنا مش بتكلم على جوزي!
- أومال بتتكلمي على مين؟!
- هتلاقي اسم وليد عابد عندك، ودا المفروض إنه المحامي الخاص بتاع مراد.
- إنتي تقصدي إيه بكلامك؟
- أقصد إن مراد أكيد قتله.
- ويقتله ليه؟!

- لأن أكيد وليد عابد ساعد مراد إنه يعمل تمثيلية موته دي، ولما عمل اللي هو عاوزه قرر إنه يتخلص منه علشان مايسيبش دليل وراه.
- هههههههههه، يا سلام!! الله يخربيت الأفلام الهندي اللي بوظت دماغكم، امسك يا ابني يمكن تكون شايف حاجه أنا مش شايفها.

أعطى الدفتر إلى الظابط الآخر الذي بدورهِ بدأ يُقلب في صفحاته، ثم قام بإرجاعه مرة أخرى إلى الظابط «**إسلام الجزار**»، الذي نظر إلي وبدأ يُحدثني في غضبٍ شديد:

- مفيش اسم موجود في الدفتر دا باسم وليد عابد.
- نعم إزاااااااي؟!!!

أمسكت الدفتر وبدأت أقلب في جميع صفحاته كالمجنونة حتى كادت صفحات الدفتر أن تقطع، ولكن دون جدوى، فلم أجد اسم «**وليد عابد**» مدونًا بالدفتر، هذا غير معقول فلم يمر سوى دقائق معدودة على خروجي من تلك الغرفة المريبة، هناك من يتلاعب بي، نظر إلي الظابط «**إسلام الجزار**» ثم قال لي:

- من الواضح إن في حاجة غلط معاكي.
- حاجة غلط إزاي؟!

- أقصد حاجات مش حاجة واحدة، إنتي مخبية حاجات كتير وانا لازم أعرفها، مدام ساندرا إنتي مقبوض عليكي لحد ما تظهر جثة جوزك، خدها يا أحمد على القسم واتحفظ عليها وخليها في مكتبي لحد ما أجيلك.
- إزاي؟! مقبوض عليا إيه؟!، إنت مش عارف أنا مرات مين!!!
- يلا بقى انتوا هتقرفونا بـ ابن مين واخو مين، إحنا اللي ولاد كلب بقى في البلد!

أمسك بي ذلك الظابط الشاب من ذراعي وتم وضع يداي في الأصفاد؛ ليقتادني إلى قسم الشرطة، وبينما نحن ذاهبون قام أحدهم بقطع التيار الكهربي عن المشرحة، بدأت حالة من الهرج تحدث في المكان، أصوات كثيرة وحركة سريعة، وجدت نفسي واقفة بمفردي لا يوجد أحدٌ بجانبي، أين ذهب ذلك الظابط لا أعلم، انتابني الخوف، بدأت أتحرك من مكاني لأحاول الهرب، وبالفعل بدأت أتحسس الطريق من خلال بعض الضوء الخافت المنبعث من القمر إلى داخل تلك المشرحة، حتى دخلت إلى غرفةٍ ثم اصطدمت بأحد الأشخاص.

«جبر الخواطر على ربنا..
البني آدمين بيكسروها»

بعد فترة ليست بالقليلة أشار لي الدكتور بالتوقف لأخذ قسطٍ من الراحة وكذلك لميعاد العلاج، وما كان لي إلا الإجابة، ثم وقف من على الكرسي ونظر إلي بابتسامةٍ تنم عن الشفقة، وكعادته بدأت النظارة تنزلق منه قاطعة طريقها نحو منتصف منخاره حتى قام بحركةٍ عفوية؛ حيث ضغط بسبباته على منتصف النظارة لإرجاعها مرة أخرى إلى موضعها الأصلي، وبدأ في تفحص الأدراج الموجودة بالمكتب الذي كان يجلس عليه حتى أخرج علبة دواء:

- هو انا لسه هاخد علاج تاني؟
- آه طبعًا زي ما قولتلك يا مدام ساندرا، العلاج هيكون جلسات وأدوية في نفس الوقت، يمكن ربنا يكتبلك الشفا على إيدي.
- والله مبقتش فارقة يا دكتور، أنا بالنسبة لي الجلسات أحسن من ١٠٠ علاج.
- لولا العلاج مكنش ابتدع الطب، وحضرتك ست العارفين أكيد.
- أيوه طبعًا.

قام بإخراج الدواء من العلبة ثم قام بإعطائه إلي وهو يحادثني:

- أنا دلوقتي هندهلك على الممرضات علشان يرجعوكي الأوضة تاني، وبعد كام ساعة إن شاء الله نكمل.
- إن شاء الله.

ثم قام بالضغط على الجرس الذي كان على مكتبه وقام بالنداء:

- يا سلوى، يا سلوى!
- أيوه يا دكتور..
- خدي معاكي مدام ساندرا وصليها لأوضتها وبعد ست ساعات هاتيهالي تاني.

قالها وهو يرفع معصمه ممسكًا بساعته، ثم قامت الممرضة بمساعدة زميلتها في إنزالي ومن ثمَّ وضعي مرة أخرى على الكرسي المتحرك، بعد لحظاتٍ ذهبت إلى الغرفة التي كنت أجلس بها دومًا طيلة تلك السنوات العتيقة المليئة بالبؤس، دائمًا ما كنت أتذكر «**آدم**» كم أحببت أن أكون معه دائمًا حتى في أشد حالاتي من الوحدة، تلك

الوحدة التي فضلتها بعد هذا الكم من الخيبات، بعد هذا الكم من الخداع الذي كنت أنا طرفًا فيه، هناك من يشعر بالراحة عندما يكون وحيدًا وأنا منهم، وهناك من يرى أنها شيءٌ لا يطاق، ولكنها أفضل بكثير من تعدد الأشخاص الذين يحملون ألف قناع..

بعد مرور ست ساعات من النوم كالقتيلة أفقت على صوت إحدى الممرضات:

- «**ساندرا، يا ساندرا، قومي علشان معاد الجلسة**».

أحسست أنها لم تكون سوى ست ثواني وليس ست ساعات، لكنه المعتاد، النوم ثم العلاج ثم النوم ثم العلاج، لا جديد يذكر سوى قديم يعاد، مما لا شك فيه أنني أشعر بالراحة؛ ليس بسبب ذلكَ العلاج ولكن بسبب ما أقصه على هذا الدكتور الشاب، الصدق دائمًا ما يعطي شعورًا بالراحة، وهذا ما أشعر به الآن، أعلم أن أيامي أصبحت معدودة لذا أريد أن أقص الحقيقة على أحدهم، أشكر الله أنني بدأت في ذلك، بمساعدة إحدى الممرضات جلست على الكرسي المتحرك ثم أمسكت بهِ إحدى الممرضات

وبدأت في تحريكة، ذلك الكرسي الذي كان يصدر منه صريخ كلما بدأت عجلاته في التحرك، ذلك الصريخ الذي أصبح ملازمًا لي، بدأت تتجه بي نحو غرفة الدكتور المعالج لي، نمشي في ذات الممر الطويل، مشينا كثيرًا وسط تلك الضوضاء التي يُحدثها ذلك الكرسي حتى وصلنا إلي غرفة الدكتور التي كانت تقبع في نهاية الممر، مررنا عبره الذي بدوره أغلق ورائنا تلقائيًا عند تخطينا له، هذه المرة كان يقف أمام النافذة الزجاجية التي تتوسط جدار الغرفة ممسكًا شيئًا بيده؟! عند شعوره بنا استدار إلينا ثم قام بوضع ذلك الشيء الذي لا أعلم ماهيته داخل أحد الجيوب الموجودة بذلك المعطف الأبيض الذي يُميز الأطباء عن غيرهم، ثم قام بالإشارة إلى الممرضتين اللتين قامتا بإنزالي من على الكرسي ووضعي على تلك الأريكة المائلة التي تقبع أمام مكتبه الشخصي، ثم أشار إليهما بالخروج، خرجا في ثوانٍ معدودة ثم نظرت له وهو يتأهب للجلوس على مكتبه لنستكمل الجلسات، ثم باغته بسؤالٍ:

ـ هو انا ممكن أعرف إيه اللي كان شاغل تركيزك ومخليك مش مركز معانا لدرجة إنك مكنتش

حاسس بينا واحنا داخلين؟! دا صوت الباب بتاعك يصحي جمل.

- هههههههههه، إنتي هتشككي في المباني الحكومية ولا إيه؟ الباب دا عهده.
- ما تتهربش من السؤال.
- الفضول عندكم بيقتلكم.
- عندنا؟! عندنا مين؟
- يعني، أقصد الستات عمومًا، الفضول عندكم زي الأكل والشرب.
- لا دا مش فضول، دي تفاصيل، واحنا كستات بنعشق التفاصيل.
- مش كل التفاصيل واجب تعرفوها؛ لأن في تفاصيل لو عرفتوها هتتعبكم.

أحسست أنه يحرجني فاحمر وجهي خجلًا من الموقف، لم يكن علي أن أسأله، إنني مجرد مريضة وهو الدكتور المعالج لي:

- أنا آسفة، مكنتش أقصد أزعجك.

- لا لا، اوعي تكوني زعلتي، أنا مقصدش، على فكرة دي كانت صورة.
- صورة؟
- آه صورة والدتي وأخويا وبابا.

ثم قام بإخراجها من معطفهِ وأعطاني إياها، ثم تفحصتها، كان الأب جالسًا داخل سيارة ومخرجًا رأسه من نافذتها ومن على يمينه تقف الأم ومن على يساره يجلس الإبن على مقدمة السيارة، وكان ثلاثتهم تعتلي الابتسامة وجوههم، أكاد أسمع صوت ضحكاتهم في أذني:

- العيل الصغير الرخم اللي قاعد على إزاز العربية دا أخويا الكبير.
- ياه، دا أخوك؟، دا شبهك أوي، حاسة إني أعرفهم قبل كده أو شوفتهم في نفس المكان اللي هما متصورين فيه.
- أحيانًا ينتاب الإنسان شعورًا مختلطًا بالرغبة والرهبة والغرابة إنه شاف الموقف الحاضر قبل كده، ويُهيأ له إن الأحداث جات له قبل كده في المنام، الظاهرة الغريبة دي أطلق عليها العالم

إِميل بُويَرْك في كتابه (**مستقبل علم النفس**) ظاهرة ديجا فو «**Déjà vu**» وهي كلمة فرنسية تعني «**شوهد من قبل**» وهي اللي ممكن تندرج تحته اللي اتكلم عنه عالم النفس الشهير فرويد واللي بدوره سماها بـ»الأمر الخارق للطبيعة».

- أنا سمعت بيها قبل كده الظاهرة دي.
- بعض العلماء أرجع الظاهرة دي إلى شذوذ الذاكرة، لما تدي مشاعر خاطئة تقول للمخ إننا عشنا الموقف دا قبل كده لكن مش قادرين نفتكر تفاصيل الموقف «**اللي فات**» (**فين؟ وإمتى؟ وازاي؟**)، ولما يمر الوقت الشخص بيقدر يسترجع بعض التفاصيل المشوَّشة في الحادثة الجديدة ولكن من المستحيل استرجاع تفاصيل الحالة الأولى، ودا في الأغلب بيكون بسبب تشابك في الأعصاب المسئولة عن الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى، الأحداث بتتخزن في الذاكرة قبل ما تروح إلى قسم الوعي في المخ البشري وتتعالج هناك.

- أنا دماغي صدعت من كثر المصطلحات الكتير اللي بنحفظها وبنبقى مطالبين إننا نعرفها يا دكتور، مش كده؟
- ياه، مصطلحات بس، لو على المصطلحات يبقى الأمر بسيط، «**ما يولع العيَّان بجاز وسخ**».. الجملة دي قالها لي كبير مفتشي الإدارة الصحية قبل ما يحولني للتحقيق.
- ياه!
- ساندرا إنتي متعرفيش المعاناه اللي بيعانيها أي دكتور لسه متخرج، إحنا بنقعد ست سنين بنقضيها في الحفظ والحشو في كليه الناس بيقولوا عليها كلية القمة، ومن بعدها بنبدأ رحلة المعاناه العملية الحقيقة في سنة الامتياز، والسنه دي بنعتبرها أهم سنه لإننا بنتدرب في المسنشفى الجامعي وبنحتك فيها بالمرضى وبنطبق فيها كل اللي درسناه من حشو وحفظ خلال ست سنين عجاف، وبيبقى لازم علينا إننا نقعد ما بين ٦ لـ ١٢ ساعة في المستشفى، بعد أسابيع أو

شهور من السخرة بيبقى سننا وصل لـ ٢٥ سنة، وبنبدأ ناخد مكافأة امتياز شهريًا تقريبًا مش بتعدي الـ ٣٠٠ج، وبدل العدوى بيبقى ١٩ج!، بدل العدوى للدكاترة بيتعاملوا مع فيروسات وميكروبات ودم هو ١٩ج، بنوصل لسن ٢٨ سنة بعد التجنيد وبنبقى لسه معملناش حاجة في حياتنا، والاقي صحابي اللي جايبين أقل مني في المجموع اللي منهم ظابط جيش أو ظابط شرطة عمل كل حاجه في حياته، أوقات لما بشوف حد من أصحابي اللي كانوا معايا في ثانوي ودخل شرطة أو حربية بحسه بيطلع لي لسانه.

- هههههههههههههههههه.

- بتضحكي!

لم أتمالك نفسي فقال:

- عندك حق، أصل شر البلية ما يضحك.

- طب أقولك على حاجة يا دكتور؟

- قولي، ماهو انتي اللي بقيتي الدكتور النفسي دلوقتي، عرفتي إننا كلنا عُقد؟

- هههههههههه، لا بجد بس أنا عاوزه أفهمك إن بلدنا ما بتعترفش غير بالنسر والبنكنوت، أي حاجة تانية بتبقى شكليات.
- عندك حق، كفاية كده بقى، ويلا نكمل جلساتنا.
- أوكيه، نكمل، إحنا وقفنا لحد فين؟

بنظرةٍ مصحوبة بابتسامة أمسك بتليفونه المحمول، ثم قام بتشغيل مقطع صوتي:

- وفي وسط العتمة خبطت في حد كان واقف ورايا.. (**كانت هذه آخر جملة قولتها في الجلسة الأخيرة**).

لا تنخدعوا بالشكل لأنه إلى زوال..
ابحثوا دائمًا عن الروح التي تشبهكم.

داخل غرفة الدكتور

بدأت مجددًا في سرد ما حدث في تلك الليلة المشؤمة، وكانت آخر كلماتي في تلك الجلسة عندما انقطع التيار الكهربائي عن كامل المبنى، حيث كان من المقرر أن أذهب إلى قسم الشرطة لبدأ التحقيق معي ولكنني اصطدمت بذلك الشخص الذي كان بداخل تلك الغرفة التي دخلت إليها، حيث كان هذا الشخص هو المحقق «**إسلام الجزا**»:

- إنتي رايحة فين؟
- هاه، مش رايحة حته، النور قطع فجأة فـ خوفت.
- آه علشان كده دخلتي هنا؟
- أيوه طبعًا.
- إنتي عارفة الأوضة دي بتاعت إيه؟
- لا طبعًا وانا أعرف منين!

أثناء حديثه معي قام بسحبي من الأصفاد إلى خارج الغرفة ثم أخرج تليفونه المحمول وقام بإضاءته، ثم صوب إضاءة التليفون إلى لوحة معدنية مثبتة بجوار باب تلك الغرفة:

- Exit تعرفي تقري انجليزي يا مدام ولا انتي تعليم مجاني زي حالاتنا؟

وعند انتهائه من تلك الجملة عاد التيار الكهربائي مرة أخرى مصحوبًا بعددٍ ليس بالقليل من الظباط والعساكر يهرولون نحونا في مقدمتهم ذلك الشرطي الشاب «**أحمد محي**»:

- خدوا الست دي حطوها لي في أوضة علشان هحقق معاها هنا واسحبوا منها التليفون وأي حاجة ممكن تتواصل بيها مع أي حد، محدش هيروح النهارده قبل ما الاقي الجثة، إنتوا سامعين!

- تمام يا افندم.

بعد دقائق، وجدت نفسي داخل أول غرفة جلست بها في هذه المشرحة، ولكن مع الاختلاف حيث أنني الآن في موضع اتهام ومكبلة بالأصفاد، أمامي يجلس هذا الظابط «**إسلام الجزار**»، نجلس بمفردنا، نظر إلي «**إسلام الجزار**» وهو ممسكًا بذلك الخاتم القابع في نهاية ذلك الإصبع المقطوع وقال لي:

ـ الحلقة كده بتضيق عليكي يا ساندرا، قوليلي الحقيقة ممكن أقدر أساعدك.

حلقي أصبح جافًا كصحراءٍ قاحلة، بالكاد أبتلع ريقي.

ـ مين معاكي وبيساعدك؟

أصبحت كتلة من المسام، أتصبب عرقًا من جسدي كله، وأثناء أسئلته المتتالية دخل علينا الظابط «**أحمد محي**»:

ـ أنا آسف يا افندم، بس كان في حاجة لازم حضرتك تشوفها.

ـ خليكي هنا متتحركيش، حط لي اتنين عساكر على الباب واتنين جوه الأوضة.

ـ حاضر يا افندم.

خرجا الاثنين مهرولين، وجلست أنا برفقة اثنين من العساكر بداخل الغرفة لا يقومان بشيءٍ سوى مراقبتي في مساحةٍ لا تتعدى العشرين مترًا، أحسست أنني انتهيت؛ فأنا لا أعلم شيئًا عن «**آدم**» وشعرت أن ذلك الظابط أوقع بي وكل تلك الأحداث التي مرت في تلك السويعات من

شأنها أن توقع بي و بـ «**آدم**»، لم تمر سوى دقائق معدودة حتى عاد إلي الظابط «**إسلام الجزار**»، قام بإخراج العساكر، ثم أشار إلى الظابط «**أحمد محي**» بالجلوس معنا، وقف أمامي مباشرة ثم مال بجسده نحوي حتى أصبح وجهه يكاد يلاصق وجهي، كنت أرى في عينيه نظرة تنم على الانتصار وفي أثناء ذلك قام بتحريك يده اليمنى حتى أصبحت بجانب وجهي ووجهه ثم قال:

- عارفه إيه اللي في الكيس الصغير دا؟، دا شعر لقيناه في أوضة المحولات، أستأذنك إننا ناخد من حضرتك خصلة صغيرة علشان نطابقها.

بعد أن قالها كان بالفعل قد قام بشد خصلة من شعري باليد الأخرى:

- آاااااااااه!
- أه معلش أنا آسف إني أخدتها بدون رغبتك، أصل الوقت معايا بيجري وانا مش هتحرك من هنا من غير ما اعرف مكان الجثة أو على الأقل يبقى قدامي اللي عملها اللي أتمنى إنه ميكونش انتي.

- اللي بتعمله دا مش قانوني، ثم إن تحليل ال DNA بياخد على الأقل ٤٨ ساعة، هنقعد هنا ٤٨ ساعة وانا مش في وضع اتهام رسمي؟!
- ٤٨ ساعة، يااااااااه دا انتي قديمة أوي، إنتي ما تعرفيش إن المدة دلوقتي بقت ٥ ساعات بس، ولو مش مصدقاني، لحظة واحدة.

قام بإخراج تليفونه مرة أخرى ثم قام بإجراء اتصال:

- أيوة يا دكتور حاتم، بقولك إيه، هو تحليل ال DNA هياخد وقت قد إيه معاك؟

ثم نظر إلي وقام بوضع التليفون على المكتب ثم ضغط على علامة السماعة لكي أسمع ما يقوله الدكتور «**حاتم**»:

- عندنا في مصلحة الطب الشرعي أحدث جهاز وصل للمصلحة السنة اللي فاتت بعد تفجيرات الكنيسة وعن طريقه بنقدر نعمل تحليل الـ «**DNA**» من خلال خطوات معينة.
- أيوه خطوات اللي هي إيه يا دكتور؟، إحنا عاوزين نستفيد برضو.

قالها الظابط إسلام الجزار.

- الخطوة الأولى الاستخلاص ودي بتاخد حوالي ساعة واحدة، والخطوة الثانية الإكثار ودي بتاخد ٣ ساعات والخطوة الثالثة الإظهار ودي بتاخد ساعة.
- يعني كده ممكن النتيجة تكون في إيدي قبل الصبح ما يشقشق؟
- إن شاء الله.
- شكرًا يا دكتور.

بعد عبارات السلام والتحية أنهى مكالمته مع دكتور الطب الشرعي، ثم نظر إلي قائلًا:

- ها إيه رأيك؟، وبعدين مين قالك إنك مش في موضع اتهام رسمي؟، أمر القبض عليكي في الطريق.

أحسست بالانهيار التام، لم يكن باستطاعتي أن أكمل التمثيل على ظابطٍ محنك مثل «**إسلام الجزار**».

- والله ماعرف حاجه عن الشعر دا.
- أومال إيه اللي تعرفيه يا ساندرا؟

انتابتني حالة من الصمت، أخذت أفكر مرارًا وتكرارًا في ثوانٍ معدودة حتى أحسست أنه لا مفر، هناك من يحاول أن يوقع بي، وفي هذة الحالة سوف تكون التهمة الموجهة لي قتل واختطاف، وأثناء ذلك التفكير باغتني الظابط «**إسلام الجزار**»:

- انطقي يا ساندرا السكوت مش هيفيدك.
- أنا هقولك على كل حاجة.
- حلللللللو، لحظة بقى علشان نسجل اللي بتقوليه.

قام بالإمساك بتليفونه ثم بدأ بالضغط على زر التسجيل:

- الحكاية بدأت معايا من كام شهر لما اتعرفت على آدم، شاب قدم في الشركة عندنا للشغل واتقبل رغم إنه كان لسه بيدرس ودا مش من ضمن الـ Policy بتاعت الشركة لكني تعمدت قبوله.
- وآدم دا ساكن فين؟

- حدايق المعادي عمارة الشرطة رقم ٦٥ الدور السابع.

قام بكتابة العنوان على ورقة ثم نظر إلى الظابط «**أحمد محي**»:

- تروح تجيب لي الواد دا دلوقتي.
- تمام يا افندم.

أجهشت في البكاء.

- لا تمالكي نفسك كده احنا لسه في البداية، عاوزك تحكي لي كل حاجة بالتفصيل، إحنا وصلنا لإنك تعمدتي قبوله، ها كملي وبعدين؟
- وبعدين دخل في الشغل بسرعة لطبيعة الكلية اللي كان بيدرس فيها اللي مجال دراستها مرتبط بشركتنا، أنا كنت ممكن أقدر أقول عليه عالم مش مجرد موظف.
- كملي.
- بدأ شويه بـ شويه يتقرب لي معرفش عن قصد ولا لا، بس انجذبت له، ووقعت في حبه رغم إني أكبر منه بحوالي عشر سنين، لكن أنا مؤمنة

إن الحب مالوش حدود لا في سن ولا مستوى اجتماعي ولا حتى شكل، كنا بنقعد في الشركة بالساعات بعد ما الموظفين يمشوا؛ نعمل تقرير ونحضر في مؤتمرات وحاجات كتير كان بيساعدني فيها، لحد ما الأمر تطور معانا والقعاد بتاعنا مبقاش في الشركة بس ومبقاش للشغل، أوقات كتير كان بيبقى للفضفضه.

- طيب ومراد محسش بأي حاجه من دا كله؟
- مراد كان شايفه زي أخويا الصغير.
- اه، طيب كملي.
- كملنا في علاقتنا لحد ما العلاقة اتحولت من إعجاب لـ حب، واتحولت مقابلتنا من الأماكن العامة لشقته.
- كملي وبعدين
- آدم كان متضايق من إني على زمة راجل تاني غيره، وانا كنت بحاول أقنعه إني شوية لقدام هحاول أطلق منه، لكن آدم كان له رأي تاني.
- اللي هو؟

- آدم كان خايف لو اتطلقت أرجع تاني لنقطة الصفر ومراد يحرمني من كل حاجة ومطولش منه ولا مليم خصوصًا إني اكتشفت بعد كده إن مراد غيَّر محامي الشركة وجاب محامي جديد اللي هو وليد عابد اللي قولتلكم إني لقيت جثته في المشرحة، المهم اتعرفت على وليد عابد المحامي وقررت إني أعرض عليه رشوة مقابل إني أعرف مراد بيفكر في إيه، وطلع اللي فكر فيه آدم مظبوط.
- إزاي؟
- مراد تقريبًا حس باللي بيني وبين آدم فقرر إنه يغير المحامي ويجيب محامي يثق فيه خصوصًا إن المحامي القديم هو محامي الشركة فكده هو مش محامي خاص لمراد وبس، لكن رغم تغييره للمحامي إلا إن المحامي الجديد اللي جابه كان كلب فلوس، قال لي إن مراد قيم ممتلكاته وشالني خالص بره الليلة، بعد ما قال لي كده قدمت عرض للمحامي مقابل المعلومات اللي

قالها لي، وبعد ما عرفت المصيبة دي اختمرت في دماغ آدم فكرة قتل مراد لكن بطريقة علمية مفيهاش أي شبهه جنائية.

- إزاي؟!
- آدم اتوصل لعلاج ممكن يؤدي للسكتة القلبية لو اتاخد بجرعات منتظمة مع عوامل مساعدة للمريض زي السهر والتدخين وكتر السفر والإرهاق.
- آاااااااااه، افتكرت (**خدها معاك يا أحمد وابقى بلغني بأي جديد، ومتنساش تبعت الأمبول ده علشان تعرف لي إيه ميِّتُه بالظبط**) الأمبول اللي لقيناه معاكي؟
- بالظبط، بدأت أحطهوله على جرعات زي ما آدم قال لي، لغاية ما حصل اللي حصل، لكن أقسم لك بالله أنا معرفش حاجة عن اختفاء الجثة دي خالص، أنا متاكدة إن مراد عايش ووليد عابد بيساعده علشان يموتني ويموت آدم، ولو مت أنا وآدم وفضلت الجثة مختفية كده مش هيتحاكم.

- متقلقيش يا ساندرا، أنا بعت اللي يجيب آدم ويجيب وليد عابد، بس فكرة إن حد يرجع من الموت دي مش متخيلها أصلًا!
- في فرضية تانية يا حضرة الظابط.
- اللي هي؟!
- إن مراد يكون سابقني أنا وآدم بخطوة وكان على علم بمواعيد الجرعات وكان بيبدل كوبايات العصير أو بيرميها.
- هفترض إنه كده فعلًا، إزاي عربية الإسعاف جات شالته واتكتب له تقرير إنه ميت فعلًا ودخل الثلاجة في انتظار استخراج تصريح الدفن؟
- مراد مش هيغلب في حاجه، إنت متعرفش مراد.
- على العموم الاعتراف ده كفيل إنه يلبسك تهمة شروع في قتل دا إذا مكنش ميت، وكلها ساعات قليلة وهتجيني كل حاجة.

بعد مرور أربع ساعات من ذلك التحقيق عاد إلي ذلك الظابط وقام بالتسجيل مرة أخرى:

- إحنا روحنا العنوان اللي قلتي لنا عليه بتاع اللي اسمه آدم ده.
- لقيته حي؟
- مفيش حد قاعد في العنوان دا أصلًا، بواب العمارة بيقول إن الشقة مقر لشركة توريدات عموميه وطلعنا واتأكدنا من دا كويس، أما بقى عن إنه كان شغال في شركتك فمفيش في السجلات أو كشوف الحضور والانصراف أو المرتبات حد بالاسم دا، وتليفونك نفسه مش متسجل عليه أي مكالمات أو رسايل بينك وبين الرقم اللي ادتهولنا.

كان كلامه لي بمثابة الصدمة.

- أما بقى عن وليد عابد فهو مش محامي زي ما حضرتك قلتي لنا، لا دا صاحب توكيل أدوية معروف واليوم اللي شوفتيه فيه مع مراد كان بيتفقوا فيه على ميعاد يقعدوا فيه علشان ياخد توكيل شركتكم، ووليد عابد ما أنكرش دا.

أحسست بصداع رهيب وحالة من الهذيان وانعدام الرؤية.

- نيجي بقى للڤيلا بتاعتك، لقينا فيها صور لكل كاميرات المشرحة، واعتراف كتابي باسم «**رأفت الدميري**» إنه أخد منك رشوة نظير مساعدتك، متهيألي الاسم دا مش غريب عليكي؟
- أنا مش فاهمه حاجه، أنا هتجنن.
- لا قبل ما تتجنني أقول لك مين اللي ساعدك؟، «**رأفت الدميري**» دا موظف الكاميرات بتاع المشرحه اللي عمل نفسه عنده صرع بعد ما خرجتوا الجثة، هو فاق واعترف عليكي إنك هددتيه بفصله من الشغل لو معملش كده وعشان الفايدة اللي هتجيله بالفلوس مقابل مساعدة عشر دقايق.
- أنا مش فاهمه حاجه، أنا هتجنن.

وأثناء حالة الهياج العصبي التي انتابتني دخل علينا الظابط «**أحمد محي**».

- تحليل ال DNA يا افندم.

- آه، كده كملت، قول لنا يا ابني نتيجته.
- العينة متطابقة مع شعر مدام ساندرا.
- يبقى تحليلي مظبوط، إنتي أخدتي الجثة بمساعدة موظف الكاميرات وخرجتوها من غرفة المحولات، وديتوا الجثة فين بقى يا ساندرا؟!
- مستحيييييييييل، مراد عايش، مراد هو اللي عمل كده، مستحيييييييل!
- لا بقولك إيه شغل الجنان دا أنا مش عاوزه، كل الأدلة ثابته عليكي، شغل الدروايش دا مش عليا، يلا يا أحمد هاتهالي ع البوكس.

قام الظابط «**أحمد محي**» بسحبي من يدي مكبلة بالأصفاد أمضي بخطواتٍ مثقلة، تكاد قدماي تحملاني على مضد، أمضي تائهة بوجهٍ شاحب اعتلاه الوجوم بوجهٍ ينم على الخيبة، الجميع يرمقني وينظر لي نظرات اتهام، الجميع ينظر لي وكأنهم يروننني لأول مرة، ثم ألقاني الظابط في سيارة الشرطة، بدأ السائق في التحرك بنا، وبعد مرور دقائق رن هاتف الظابط «**إسلام الجزار**»:

- بتقول إيه؟! لقيتوا الجثة؟ لقيتوها فين؟ إيه؟ طيب أنا جاي حالًا.

نظر لي وابتسامة شيطانية تنم على الانتصار وقال:

- مش عاوزه تعرفي لقينا الجثة فين؟

لم أستطع التحدث، كنت شاخصة البصر فقط، ثم أتبع:

- اطلع بينا يا ابني على فيلا الهانم.

لم يستغرق الوقت كثيرًا حتى وصلنا إلى الفيلا مع شروق الصباح وبالتحديد الحديقة، كان الوضع عبارة عن ثكنة عسكرية، الفيلا أصبحت مليئة بالعساكر وظباط الشرطة والعديد من الأضواء الحمراء والزرقاء التي تميز سيارات الشرطة، نزلنا من السيارة ثم اقتربنا أكثر فأكثر، حتى وجدت حفرة بعمق ثلاثة أمتار ومن حولها ثلاثة عساكر ممسكين بثلاثة كلاب بوليسية تنبح بصوتٍ عالٍ، وكان داخل تلك الحفرة كيس أسود من أكياس المشرحة ومن الواضح إن بداخله شخصًا ما، اقترب الظابط «**إسلام الجزار**» رويدًا رويدًا حتى وصل إلى الكيس وقام بفتحه وهنا كانت المفاجأة:

- مراد دا ولا مش مراد يا ست هانم؟
- مستحيييييييييييييل! لا لا لا إزاي! مش معقول، طيب مين اللي كان بيعمل دا كله معايا في المشرحة؟ إزاي؟؟ طيب فين آدم؟ طيب فين وليد عابد؟ إزاااااااااااااي؟ لاااااااااا...

وبينما أنا أصرخ بشدة بدأ الجميع في إخلاء الحديقة والذهاب لبدأ تطويقها وبقي معي «**إسلام الجزار**» نظر لي وأنا جاثية على قدمي ووجهي في الأرض ونظري صوب الجثة:

- بقى تقتلي القتيل وتمشي في جنازته!

انتابتني حالة من الصدمة التي أثرت علي، لم أستطع التحدث، ثم قال لي:

- من عشر سنين كان في راجل ومراته وابنهم الصغير عربيتهم عطلت على طريق مصر اسكندرية الصحراوي بالليل، الابن كان في العربية والراجل كان بيحاول يصلح العربية، والأم طلعت على الطريق ومعاها كشاف بتحاول تقلب نور لأي عربية جاية علشان تساعدهم،

وبعد دقايق جات عربية بكل سرعتها وخبطتها، الأم وقعت على الأرض وكانت بتطلع في الروح، والعربية وقفت، واللي كانوا فيها كانوا بيبصوا على الأم، اللي كانوا في العربية بدل ما ينزلوا يساعدوا؛ بصوا على الأم اللي غرقانه في دمها وبكل برود دم داسوا بنزين، مع إنها كان ممكن تعيش لو كانوا أخدوها لأقرب مستشفى، الأب حاول يمسك في العربية لحد ما اتجرجر ووقع، وكانت النتيجة دي...

نظر إلي ثم أشار لذلك الإصبع الذي في يده اليسرى الغير مكتمل، ثم أتبع:

- اللي ماتت دي كانت مراتي، واللي كانوا في العربية هو إنتي ومراد، افتكرتي؟

لم أستطع التحدث ثم أتبع وأنا في حالةٍ من الذهول:

- عشر سنين بحاول آخد بحق مراتي من غير ما يحصل لي أو يحصل لأولادي أي ضرر، وجه الوقت اللي أخليكي فيه تقتلي جوزك بمساعدة ابني.

ثم أخرج صورة «**آدم**» ووضعها نصب عيني، ثم أتبع:

- آدم، ابني اللي كان في العربية يوم الحادثة، عمل كل اللي خططنا له بالورقة والقلم، والصورة الثانية دي لـ وليد عابد، أخو مراتي اللي مثل صح دور المحامي لأنه في الطبيعة ممثل مسرحي، أما بقى موظف الكنترول فـ دا واحد من الناس اللي جمايلي مغرقاهم وهطلعه في التحقيقات زي الشعره من العجينه واهو استفاد بال ١٠٠ ألف اللي ادتهاله، أرجع بقى لـ «**آدم**»، آدم زي ما عملك علاج تموتي بيه جوزك، عملك برضو علاج علشان تموتي به نفسك بس بالبطيء، في آخر مرة اتقابلتوا فيها اللي هو من حوالي ١٢ساعة، آدم إدالك علاج علشان كنتي مصدعه، العلاج دا نتيجته بتؤدي للشلل التام، وأول أعراضه شلل في الجزء العلوي اللي هو بيبدأ باللسان، يعني هتعيشي طول عمرك قعيده لا بتهشي ولا بتنشي.

كانت هذه الكلمات كفيلة بأن تُحدث لي صدمة نفسية وعصبية حادة مفعولها أقوى بكثير من ذلك العلاج الذي دسه لي «**آدم**»، حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن بعد خمسة عشر عامًا.

ليس كل ما تراه حقيقة

بعد أسبوع

أجلس داخل غرفتي بالمستشفى، تنتابني بعض الحسرة عن كل هذه السقطات العاطفية التي حدثت لي، وكل الوعود الزائفة، بعد كل هذه الأحداث أحمد الله على كل فترة استصعبت مرورها ومرت، لا أعلم ماذا يخبئ لي القدر ولكنني خبأت له حُسن الظن بالله فعندما يكون الله معي أدير ظهري بلا مبالاة للجميع، كنت أشعر بتحسن شديد في معظم الأطراف فأنا بدأت الآن في التحدث أفضل من الأول، وبدأت أحرك يداي جيدًا، بعد أن استشعرت التحسن أدركت أن نعمة الصحة شيء لا يعوض، كنت كحال أي شخصٍ عادي اعتدت على وجودها، أي شخص منا اعتاد على التحرك بسهولة والنوم بسهولة والنطق بسهولة، كل شيءٍ اعتدنا أن يكون سهلًا بلا حمد، ستشعرون بقيمة الصحة حين زوالها؛ فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من صحة وتمنوا الشفاء لكل متألم، كنت أجلس في انتظار ذلك الدكتور الوسيم الذي بعثه الله لي نجدة من السماء لكي يقوم بإزالة الغمامة السوداء التي كانت محملة بالحزن والبؤس على قلبي، أتم عمله على أكمل وجه، لم تمر ثوانٍ حتى بدأ يقرع باب الغرفة

ويشير إلي بالاستئذان للدخول، بابتسامةٍ صباحية مشرقة على وجهه الأبيض دخل إلي وهو يقول:

- إيه الأخبار يا مدام ساندرا؟
- الحمد لله يا دكتور.
- الحمد لله احنا قطعنا شوط كبير جدًا أهو.
- اه طبعًا.
- بس أنا كنت عاوز أسالك سؤال من بدري بس كنت محرج أسألهولك.
- إيه هو؟
- الحقيقة فين؟
- حقيقة إيه؟
- أصل في روايتك للأحداث اللي حصلت لك كنتي بتتكلمي عن آدم كأنه معملش حاجة معاكي ولا إنه أذاكي ولا إنه سبب رئيسي في اللي وصلتي له دلوقتي.
- مممممم الحقيقة؟! الحقيقة إن البدايات خدعتنا وتوهنا احنا في النص لإنه للأسف يا

دكتور الناس اللي بنحبها بيفضلوا طول عمرهم ملايكه مهما آذونا.

- فعلًا، معلش طولت عليكي بس متقلقيش احنا خلاص في المرحلة الأخيرة من العلاج.
- أي علاج أنا معاك فيه بس والنبي بلاش حقن تاني.
- هههههههههههه إيه دا بقى احنا هنعمل زي العيال الصغيرين؟
- يا ريتنا فضلنا عيال ومكبرناش!
- هههههههههه طيب ماهو لو مكبرتيش مكونتش اتعرفت على حضرتك ولا كنت استفدت من حالتك وبعدين يا ستي متقلقيش آخر حقنة اللي اديتهالك امبارح بالليل، ومفعولها بياخد ١٢ ساعة.وإيه هيحصل بقى بعد الـ ١٢ ساعة؟
- هيحصل كل خير أكيد.

ثم وقف أمامي مباشرة ووضع يده داخل معطفه ثم أخرج شيئًا منه، وكعادتة ضغط على منتصف نظارته، ثم نظر إلي وقال:

مش قلت لك قبل كده: (**مش كل التفاصيل واجب تعرفوها؛ لإن في تفاصيل لو عرفتوها هتتعبكم**).

- تتت... تقصد إيه؟!
- فاكره الصورة دي؟!

شعرت بوخزة في قلبي ثم أتبع:

- الصورة اللي كنتي عاوزة تعرفي مين فيها، اللي شبهتي على المكان والناس اللي فيها.
- أيوه مالها؟
- أهو العيل الرخم اللي على إزاز العربيه دا مش أخويا، لا دا أنا.
- أنا مش فاهمه حاجه!

ثم وضع يده مرة أخرى في معطفة وأخرج حافظته، ثم أخرج منها بطاقة تعريفه بالمستشفى واقترب مني ثم وضع البطاقة صوب عيني فرأيت: (**اسم الطبيب: شهاب إسلام الجزار**).

شعرت بعدم القدرة على التقاط أنفاسي، حدقة عيني تضيق، وحجمي يتضائل شيئًا فشيئًا، وجسدي كأنه قطعة من الثلج بارد جدًا، وأذناي ساختنان جدًا، شعور سيء

يُشعرني أنني لست بخير، أنني أتهاوى، من المؤلم أن تفقد آخر بارقة أمل في أكثر الأوقات احتياجًا..

- مش ممكن مممممش مممممممكن!!

- واللي كان بيصورني أنا وبابا وماما هو خالي.

ثم أخرج من معطفه صورة أخرى وكأن معطفه «**جراب ساحر**»، ثم أتبع:وليد عابد، خالي.

كان يُلقي صواعقه المنبعثة من لسانه علي وهو يدور من حولي كالأسد الذي ينتظر أن ينقض على فريسته:

- وآدم في اليوم دا كان عند جدتي في اسكندرية وكنا رايحين نجيبه.

بعد أن أتم عدة دورات من الدوران من حولي، وقف أمامي فجأة، ثم أمسك بنظارته ورفعها باتجاه النور المنبعث من مصباح إضائة الغرفة، ثم قربها من فمه ونفخ في عدساتها حتى أصبحت مليئة ببخار الماء، ثم أخرج من معطفه منديلًا وقام بتنظيف العدسات، ثم لبسها مرة أخرى، فعل هذه الحركة وهو يقول:

- بصي أنا مش عاوزك تستغربي من حاجة، بس بابا وآدم ليهم طريقتهم وانا ليا طريقتي، إنتي

لازم تموتي زي ما ماما ماتت، قدامك تقريبًا ساعتين وتقابلي رب كريم يا ساندرا.

كنت ساكنة مكاني لا أشعر بجسدي الذي كان يتصبب عرقًا حتى أصبحت ككتلة الثلج التي تذوب، ثم اقترب مني خطوة بعد خطوة حتى أصبحت المسافة بيني وبينه تكاد تكون منعدمة:

- بس عارفه إنتي فرصتك في الموت أحسن من ماما، عارفه ليه؟! علشان هي ماتت فجأه لكن انتي عارفة إنك هاتموتي فاهتدعي وتستغفري وتتقربي لربنا يمكن يسامحك، بس سيبك انتي محدش عارف مين هيخش الجنة ومين هيخش النار بس اللي أنا متأكد منه إنك تستحقي كل حاجة حصلت لك؛ لإنك لو متستحقيش مكنش ربنا كتبلك يحصل لك كده.

ثم وقف على قدميه وبدأ يرجع إلى الخلف في خطواتٍ بطيئة وهو ينظر إلي مبتسمًا وملوحًا بيديه بحركة «**السلام**» المعتادة حتى اصطدم في باب الغرفة؛ فأمسك

به وقام بفتحه، ثم خرج وأغلقه وكان آخر وجهٍ رأيته في الدنيا.

«عندما بدأت ساندرا تخطو أولى خطواتها في العودة للتكلم مرة أخرى بَدأتْ في تسجيل مذكراتها صوتيًا، وفي خلال الوقت المتبقي من عمرها وهما الساعتان قامت بتسجيل باقي الأحداث وما حدث لها مع الدكتور، وبعد ذلك تم العثور على الهاتف الخاص بـ ساندرا من قِبل إدارة المستشفى التي قامت بتسليمه إلى أمانات المستشفى لحين وصول والدتها لاستلامه مع باقي متعلقاتها، وعندما استلمته لم تجد عليه أية تسجيلات حيث أنني قد قمت بنقل جميع التسجيلات إلى هاتفي الخاص قبل تسليمه إلى والدتها، لذا احذر فإن ليس كل ما تراه حقيقة »

التوقيع / شهاب إسلام الجزار

التواصل مع الكاتب

Facebook (ahmed omar)

Instagram (omar.ahmed.farag)

Twitter (@ahmedomarfarag)

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution